

الباب الأول

دراسة وصفية تاريخية لسورة النساء

obeikandi.com

الفصل الأول

أسباب النزول

بيان ودراسة:

قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۗ﴾ [سورة النساء: الآية ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٢].

نزلت هاتان الآيتان في السنة الأولى للهجرة فيمن كان يرث زوجة أبيه إذا مات، أو يحبسها لينتفع بمالها.

فقد أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال: كان الرجل إذا توفي عن امرأة، كان ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه، أو يُنكحها من شاء؛ فلما مات أبو قيس بن الأسلت، قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته، ولم يورثها من المال شيئاً، فأتت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئاً، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٢]، ونزلت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا ۗ﴾ [سورة النساء - الآية ١٩].^(١)

يقوى ذلك - في نظري - رواية البخاري^(٢) وأبو داود والنسائي التي ذكرت نفس السبب لكنها لم تذكر اسم الرجل الذي مات وورث ابنه نكاح امرأته. وقد ذكر الطبري: أن وفاة أبي قيس بن الأسلت كانت في السنة الأولى من الهجرة فقال: «وزعم الواقدي أن في هذه السنة - أعنى السنة الأولى من الهجرة - جاء أبو قيس بن الأسلت رسول الله ﷺ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فقال: ما أحسن ما تدعو إليه،

(١) لباب النقول للسيوطي/٦٠.

(٢) صحيح البخاري ٥٥ / ٦.

انظر في أمرى ثم أعود إليك ، فلقية عبد الله بن أبي فقال : كرهت والله حرب الخزرج ، فقال أبو قيس : لا أسلم سنة ، فمات في ذى القعدة من السنة الأولى للهجرة^(١) .

قول الله تعالى : ﴿الَّذِينَ فِي أَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (٧٧) [سورة النساء - الآية ٧٧] نزلت في السنة الثانية من الهجرة ، فيمن تمنوا الجهاد في مكة ثم خافوه في المدينة .

فقد أخرج النسائي والحاكم عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ ، فقالوا : يا نبي الله ، كنا في عزٍّ ونحن مشركون ، فلما آمننا صرنا أذلة . قال : إنى أمرت بالعفو ، فلا تقتاتلوا القوم . فلما حوَّله الله إلى المدينة ، أمره بالقتال ، فكفوا فأنزل الله ﴿الَّذِينَ فِي أَيْدِيكُمْ﴾ الآية^(٢) .

وفي رأيي أن رواية النسائي والحاكم عن ابن عباس ، فيها نظر ؛ إذ تجعل عبد الرحمن ابن عوف يخشى الأعداء ، أشد من خشية الله ، فكيف به وهو من العشرة المبشرين بالجنة؟ وسياق الآية يتمشى مع قوم لم يرسخ الإيمان في قلوبهم ، أو مع آخرين يظهرون الإسلام ويبطنون خلافه . وكيفما كان الأمر ، فإن القتال قد فرض على رسول الله ﷺ في العام الثاني الهجري بقوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [سورة البقرة - الآية ٢١٦] وكان الإذن به من العام الأول بقوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَيُنَازِلُونَهُمْ﴾ [سورة الحج - الآية ٣٩] ، ولكن آية سورة النساء تتحدث عن فرض القتال ، لا الإذن به في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا كُتِبَ﴾ . فهذه الآية مما نزل من سورة النساء في العام الثاني الهجري .

قول الله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء - الآية ٩٥] .

نزلت هذه الآية في شأن الخارجين إلى بدر والمتخلفين عنها^(٣) .

فعن البراء قال : لما نزلت : ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ : ادعوا

(١) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ٤٠٦ / ٢ .

= أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير . ٢٥٧ - ٢٥٦ / ٥ .

= الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١٩٤ / ٨ - ١٩٥ .

(٢) لباب النقول للسيوطي ٧٠ .

(٣) صحيح البخاري ٦٠/٦ . و لباب النقول في أسباب النزول / ٧٤ .

فلاننا، فجاءه ومعه الدواة واللوح، أو الكتف. فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. وخلف النبي ﷺ ابن مكتوم، فقال: يا رسول الله أنا ضريب. فنزلت مكانها: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١٥). وقد أخبر ابن عباس لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر. ومن المعروف أن غزوة بدر كانت في رمضان من السنة الثانية للهجرة. وعليه فإن هذه الآية مما نزل من سورة النساء في ذلك العام.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١٧). [سورة النساء - الآية ٩٧].

نزلت فيمن كانوا يكثرون سواد المشركين على المسلمين وهم مسلمون وذلك في غزوة بدر من العام الثاني الهجري.

فقد روى البخاري عن ابن عباس، أن أناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ فيأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية (١١).

وقد أورد ابن هشام - في سيرته - ذلك عند غزوة بدر بقوله: ذكر الفتية الذين أنزل الله فيهم إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فقال عنهم: وكان الفتية الذين قتلوا ببدر فنزل فيهم من القرآن - فيما ذكر لنا - وذكر ابن هشام الآيات من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إلى قوله ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ثم ذكر أسماء هؤلاء الفتية (١٢).

قوله - تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (٣٤) [سورة النساء - الآية ٣٤]. نزلت هذه الآية في السنة الثالثة للهجرة، في امرأة نشزت على زوجها فلطمها فطلب أبوها القصاص.

قال مقاتل: هذه الآية نزلت في سعد بن الربيع، وكان من النقباء، وامراته حبيبة بنت يزيد بن أبي هريرة، وهما من الأنصار. وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ وقال: أفرشته كريمتي فلطمها فقال النبي ﷺ: لتقتص من زوجها،

(١) صحيح البخارى ٦٠/٦-٦١. ولباب القول / ٧٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٨٣ .

وانصرفت مع أبيها لتقتص منه ، فقال النبي ﷺ : ارجعوا هذا جبريل - عليه السلام - أتاني وأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقال رسول الله ﷺ : أردنا أمراً وأراد الله أمراً والذي أراد الله خير. ورفع القصاص^(١).

وقد ذكر ابن هشام في السيرة أن سعد بن الربيع قُتِلَ شهيداً في غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة^(٢).

قوله تعالى : ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَدَرْنَا لَكُنَّ فِيهَا مِثْرًا﴾ [سورة النساء - الآية : ٧]. نزلت فيمن كانوا لا يُورثون البنات ، ولا الصغار.

فعن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا ؛ فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت ، وترك ابنتين ، وابناً صغيراً ، فجاء ابنه عمه : خالد وعرفطة وهما عصبه ، فأخذوا ميراثه كله ، فأتت امرأته رسول الله ﷺ ، فذكرت له ذلك فقال : ما أدري ما أقول فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَدَرْنَا لَكُنَّ فِيهَا مِثْرًا﴾^(٣).

وأوس بن ثابت أخو حسان بن ثابت ، استشهد في غزوة أحد سنة ثلاث من الهجرة - كما ذكر ابن هشام في سيرته^(٤) وابن الأثير^(٥).

مما سبق يتبين أن هذه الآية مما نزل من سورة النساء في العام الثالث الهجري.

قوله تعالى : ﴿يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ فِي آوَالِدِكُمْ لِلدَّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَّاتِ﴾ [سورة النساء - الآية ١١] نزلت في ابنتي سعد بن الربيع في العام الثالث الهجري.

فعن جابر قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان إلا ولهما مال. فقال : يقضى الله في ذلك ، فنزل آية الميراث ، فبعث رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : اعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن ، وما بقي فهو لك^(٦).

(١) تفسير الطبري ٨ / ٢٩١ . وأسباب النزول / ١٠٠

(٢) انظر شهداء أحد في سيرة ابن هشام ٣ / ٧٩ .

(٣) السيوطي ، لباب النقول / ٥٨ .

(٤) سيرة النبي لابن هشام ٣ / ٧٨ .

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة ١ / ١٦٥ - ١٦٦ .

(٦) حديث صحيح . سنن الترمذي ٢٠٩٢ .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال عادنى النبي ﷺ وأبو بكر فى بنى سلمة ماشيين، فوجدنى النبى لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش فأفقت، فقلت: ما تأمرنى أن أصنع فى مالى يا رسول الله؟ فنزلت ﴿يُؤْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١).

ومن المرجح - على كل حال - أن يكون نزول قوله تعالى ﴿يُؤْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ فى قصة سعد بن الربيع الذى قتل فى أحد - كما تقدم - كما يقول الحافظ فى الفتح: يحتمل أن يكون نزول أولها (آية المواريث) فى قصة البنيتين وآخرها ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً﴾ فى قصة جابر، ويكون مراد جابر فنزلت ﴿يُؤْصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أى ذكر: الكلاله المتصل بهذه الآية^(٢)؛ ذلك لأن جابرا - رضى الله عنه - لم يكن له إلا أخوات ولم يكن له بنات. كما قال ابن كثير: والظاهر أن حديث جابر إنما نزلت بشأنه الآية الأخيرة من هذه السورة؛ فإنه إنما كان له إن ذاك أخوات، ولم يكن له بنات، وإنما يورث كلاله. وحديث جابر الخاص بامرأة سعد بن الربيع أشبه بنزول هذه الآية^(٣). ولما كان سعد بن الربيع قد استشهد فى غزوة أحد - كما تقدم - فإن هذه الآية من أحداث العام الثالث للهجرة.

قال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [سورة النساء - الآية ٨٨]. نزلت هذه الآية فىمن رجع من المنافقين من غزوة أحد. فقد روى الشيخان عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد، فرجع ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فىهم فرقتان، فرقة تقول بقتلهم، وفرقة أخرى تقول لا. فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾^(٤). وروايات متعددة حول نزول الآية الكريمة، ولكنى أرجح منها جميعا رواية الشيخين العظيمين، البخارى ومسلم لصحة ما جاء عن طريقهما. وبهذا تكون الآية الكريمة. نزلت فى شأن المنافقين الذين رجعوا عن القتال فى غزوة أحد، والتي كانت فى شعبان سنة ثلاث للهجرة. وقال الترمذى عن هذا الحديث: حديث حسن صحيح^(٥).

(١) صحيح البخارى ٥٤/٦ - ٥٥

(٢) فتح البارى لابن حجر ٣١١ / ٩

(٣) عمدة التفسير للحافظ ابن كثير ١١٧ / ٣

(٤) صحيح البخارى ٥٩/٦ . ونياب النقول للسيوطى / ٧٠ .

(٥) سنن الترمذى ٥ / ٢٣٩ .

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [سورة النساء - الآية ٩٠].

نزلت هذه الآية بعد أن ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأسلم من حولهم. فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن أن سراقَةَ بن مالك المدلجى حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأسلم من حولهم، قال سراقَةُ: بلغنى أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي؛ بنى مدلج، فأتيته فقلت: أنشدك النعمة بلغنى أنك تريد أن تبعث إلى قومي وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا، ودخلوا فى الإسلام، وإن لم يسلموا لم يحسن تغليب قومك عليهم. فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد فقال: اذهب معه فافعل ما يريد، فصالحهم خالد على ألا يُعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم وأنزل الله ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ فكان من وصل إليهم كان معهم على عهدهم^(١).

ولما كان ذلك بعد غزوة أحد، فإن هذه الآية تكون مما نزل فى العام الثالث للهجرة. قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [سورة النساء - الآية ١٠١]. وقوله تعالى ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [سورة النساء - الآية ١٠٢]. نزلت الآية الأولى فى صلاة القصر، والثانية فى صلاة الخوف وكيفية أدائها.

فقد أخرج ابن جرير عن على قال: سألت قوم من بنى النجار رسول الله ﷺ فقالوا؛ يا رسول الله: إنا نضرب فى الأرض فكيف نصلى؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ثم انقطع الوحي، فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ؛ فصلى الظهر فقال المشركون؛ لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم، هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم: إن لهم أخرى مثلها فى إثرها. فأنزل الله بين الصلاتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾، ونزلت صلاة الخوف^(٢).

وقد ذكر أصحاب السير^(٣) - أن صلاة الخوف نزلت على رسول الله ﷺ فى غزوة ذات الرقاع) سنة أربع من الهجرة، فقد روى ابن جرير عن أبى هريرة قال: خرجنا مع رسول

(١) لجام النقول للسيوطى / ٧١ - ٧٢ .

(٢) تفسير الطبرى ٩ / ١٢٦ . تفسير ابن كثير ٢ / ٣٥٤، ولجام النقول / ٧٧ .

(٣) سيرة النبى لابن هشام ٣ / ٢١٤، وتاريخ الطبرى ٢ / ٥٥٦ .

الله ﷺ إلى نجد حتى إذا كنا بذات الرقاع من نخل، لقي جمعا من غطفان، فلم يكن يهمننا قتال، إلا أن الناس قد خافوا، فنزلت صلاة الخوف، فصعد أصحابه صدعين؛ فقامت طائفة مواجهة للعدو، وقامت طائفة خلف رسول الله ﷺ...^(١) وذكر صلاة الخوف. وقد جعل ابن جرير غزوة ذات الرقاع في تاريخه من أحداث العام الرابع الهجرى، وكذلك ابن هشام في سيرته.

وعليه فإن هذه الآيات مما نزل من سورة النساء في العام الرابع الهجرى. ولكنهم لم يفرقوا بين صلاتى الخوف والقصر - كما في حديث أبى هريرة المتقدم - فهو يقول: (... إلا أن الناس قد خافوهم ونزلت صلاة الخوف) ثم شرع في بيان كيفية أدائها.

وسياق الحديث على الذى رواه ابن جرير، يُفهم منه أن ثمة صلاتين: صلاة القصر، وصلاة الخوف، وأن الفارق الزمنى بينهما سنة كاملة. فقد سأل قوم من بنى النجار أو من التجار. كما ذكر الخلاف في تفسير الطبرى^(٢) النبى ﷺ أنهم يضربون فى الأرض، فكيف يصلون؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾. وتأتى بعد ذلك غزوة ذات الرقاع سنة أربع من الهجرة وتنزل فيها صلاة الخوف وكيفية بقوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الآية^(٣). يتبين لنا - مما سبق - أن صلاة القصر كانت سنة ثلاث من الهجرة، وأن صلاة الخوف كانت سنة أربع، فى غزوة (ذات الرقاع) والآيتان الخاصتان بهما من أحداث هذين العامين.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٠٥].

أخرج ابن سعد فى طبقاته بسنده عن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحرث على عليّة رفاعة بن زيد؛ عمّ قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها، وأخذ طعاما له ودرعيه بأداتهما، فأتى قتادة النبى ﷺ، فأخبره بذلك، فدعا بشيرا فسأله فأنكر، ورمى بذلك

(١) تاريخ الطبرى ٢ / ٥٥٦.

(٢) تاريخ الطبرى، أحداث العام الرابع الهجرى ٢ / ٥٥٦.

(٣) تاريخ الطبرى، أحداث العام الرابع الهجرى ٢ / ٥٥٦.

لبيد بن سهل؛ رجلا من أهل الدار ذا حسب ونسب، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [سورة النساء - الآية: ١٠٥]، فلما نزل القرآن في بشير، وعثر عليه هرب إلى مكة مرتداً، فنزل على سلافة بنت سعد، فجعل يقع في النبي ﷺ، وفي المسلمين فنزل فيه ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ [سورة النساء - الآية: ١١٥]. وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع، وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربع من الهجرة^(١).

قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ ۖ﴾ [سورة النساء - الآية: ٥١] إلى قوله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۖ﴾ [سورة النساء - الآية: ٥٥].

هذه الآيات مما نزل على رسول الله ﷺ في السنة الخامسة من الهجرة في شأن اليهود الذين حزبوا الأحزاب حتى كانت غزوة الخندق.

فقد قال ابن جرير: إنه كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضرى، وخبى بن أخطب النضرى، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضرى، وهوزة بن قيس الوائلى، وأبو عمّار الوائلى، فى نفر من بنى النضير، ونفر من بنى وائل، هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى ضرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه. قال: فهم الذين أنزل الله - عز وجل - فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاتِ ۖ﴾ [سورة النساء - الآية: ٥١] إلى قوله تعالى ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۖ﴾ [سورة النساء - الآية: ٥٥].

وقد ذكر ابن جرير فى تاريخه^(٢) وابن هشام فى سيرته^(٣) أن غزوة الخندق كانت فى السنة الخامسة للهجرة.

(١) لباب النقول للسيوطى / ٧٨

(٢) تاريخ الطبرى ٢ / ٥٦٥.

(٣) سيرة ابن هشام ٢ / ٢٢٩.

قول الله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية: ٢٣]. نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة.

فقد أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾. قال: كنا نتحدث أنها نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة، وقال المشركون في ذلك فنزلت «وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم»^(١).

وقد ذكر ابن جرير أن زواج الرسول الكريم بزينب بنت جحش زوجة زيد بن الحارثة، كان في السنة الخامسة للهجرة، وتزوجها النبي ﷺ بأمر من ربه عز وجل لإبطال عادة التبني آنذاك^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [سورة النساء - الآية: ٤٣]. نزلت في السنة السادسة للهجرة في إحدى أسفار رسول الله ﷺ بسبب فقد عاتشة رضي الله عنها.

فمن عاتشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي، فقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: أجلسيت رسول الله ﷺ والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ قالت: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، فجعل يطعن بيده في خاصرتي، فلا يمنعي من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله حتى أصبح على غير ماء. فأنزل الله - تعالى - آية التيمم (فتيمموا). فقال أسيد بن حضير - وهو أحد النقباء - ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت عاتشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته^(٣).

الحديث رواه البخاري^(٤)، عن إسماعيل بن أبي أويس. ورواه مسلم عن يحيى بن معين

(١) لباب النقول في أسباب النزول / ٦١.

(٢) تاريخ الطبري أحداث العام الخامس الهجري ٥٦٢ / ٢ وما بعدها.

(٣) تاريخ الطبري (أخبار العام الرابع الهجري) ٥٥٦ / ٢.

(٤) صحيح البخاري (باب التفسير / ٦٣).

كلاهما عن مالك، وأورده الواحدى فى أسباب النزول^(١) مرويا عن البخارى.

ومن العجيب أن الإمام البخارى بَوَّبَ فى كتاب التفسير لسورة النساء على الآية التى ذكر فيها التيمم، وأدخل حديث عائشة فقال: وإن كنتم مرضى أو على سفر، وفى سورة المائدة قال: (فلم تجدوا ماء واستدل بحديث عائشة أيضاً وقال: إنه يحتمل أن الآيتين لنفس السبب، ولكن العلماء أطلقوا على آية المائدة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ آية الوضوء وأطلقوا على آية النساء آية التيمم^(٢).

وكيفما كان الأمر فإن حديث عائشة هذا خاص بآية التيمم التى فى سورة النساء لأن آية المائدة تبدأ بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ واتفق المفسرون بالمدينة على أن المراد بقوله تعالى: (إذا قمتم إلى الصلاة) يعنى من النوم.^(٣) وأما آية النساء، فإنها سفرية كما يفهم من حديث عائشة.

والحديث الذى رواه البخارى عن عائشة^(٤)، يعنى نزول حكم التيمم لا غير؛ مما يدل على أنه لم يكن معهوداً من قبل.

وأما آية المائدة فإنها تتحدث عن الوضوء، ثم ذكر البديل له فى حالة عدم وجود الماء. وفى تصورى أن آية النساء تسبق آية المائدة؛ إذ كان الوضوء معروفا منذ العهد المكي، وقت نزول فرض الصلاة ولكنه - كما يقول ابن العربى - لم يكن مفروضاً أو متلوّاً، ووروده فى سورة المائدة أول تلاوة له^(٥).

أما ذكر التيمم فى سورة المائدة، فيبدو أنه كان معروفاً من قبل بنزول آية النساء، ثم جاء تعقيباً للوضوء بديلاً له وآية النساء لم يذكر فيها الوضوء.

ثم إن الطبرانى روى الحديث عن طريق عباد بن عبيد الله بن الزبير عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا، أخرجت مع رسول الله ﷺ فى غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي، حتى حُبِسَ الناس على التماسه، فقال لى أبو بكر: فى كل سفر تكونين عناء، وبلاء على الناس فأنزل الله الرخصة فى التيمم^(٦).

(١) أسباب النزول للواحدى / ١٠٢ .

(٢) لىاب النقول فى أسباب النزول / ٨٥ . وأحكام القرآن لابن العربى / ١ / ٤٤٢ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربى / ١ / ٤٤٢ .

(٤) صحيح البخارى / ٦ / ٥٧ .

(٥) أحكام القرآن / ١ / ٤٤٢ .

(٦) لىاب النقول للسيوطى / ٨٥ .

مما سبق يفهم أن السفر الذى نزل فيه التيمم كان بعد حديث الإفك، وكان حديث الإفك فى السنة السادسة من الهجرة فى غزوة (بنى المصطلق)^(١). والمعروف أن الرسول لم يخرج بعد هذه الغزوة إلا لصلح الحديبية؛ فبعد غزوة بنى المصطلق أقام الرسول ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوال، وخرج فى ذى القعدة معتمراً. وفى سير الرسول وأصحابه إلى المدينة يذكر المؤرخون وأصحاب السير أنهم التمسوا الماء؛ فعندما أمر الرسول الناس بالنزول؛ نزلوا على ثمعد^(٢) قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضاً^(٣) فلم يلبسه الناس أن نزحوه.

يتبين لنا مما سبق أن الماء كان شحيحاً بينهم وهذا يؤيد حديث البخارى فى سبب نزول هذه الآية (وليسوا على ماء وليس معهم ماء) وتكون هذه الآية معاً نزل فى العام السادس الهجرى.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء - الآية ٥٨].

نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار، كان سادن الكعبة، فلما دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت، وصعد السطح، فطلب رسول الله ﷺ المفتاح، فقبل: إنه مع عثمان، فطلبه منه فأبى، وأخذ عليّ منه المفتاح، وفتح الباب، فدخل رسول الله ﷺ البيت، وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع به بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية. فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان، ويعتذر إليه، ففعل ذلك عليّ. فقال له عثمان: يا علي أكرهت وأذيت ثم جئت ترفق؟ فقال: لقد أنزل الله فى شأنك، وقرأ عليه هذه الآية، فقال عثمان أشهد أن محمداً رسول الله، وأسلم. وجاء جبريل عليه السلام فقال: ما دام هذا البيت فإن المفتاح والسدانة فى أولاد عثمان وهو اليوم فى أيديهم^(٤).

وعن ابن جريج قال: وقال عمر بن الخطاب: لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وهو يتلو هذه الآية - فداه أبى وأمى - ما سمعته يتلوها قبل ذلك^(٥).

وظاهر هذه الرواية أن الآية نزلت فى جوف الكعبة فى العام الثامن الهجرى إلا أن فتح

(١) سيرة النبى لابن هشام ٣ / ٣٤١.

(٢) الثمد: موضع يجتمع فيه ماء السماء

(٣) يتبرضه: أى يغرفه

(٤) أسباب النزول لخواجذى / ١٠٤.

(٥) لباب النقول للسيوطى ٦٦.

مكة كان في رمضان من تلك السنة.

قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [سورة النساء - الآية: ٩٤].

روى البخارى والترمذى والحاكم وغيره عن ابن عباس قال: مر رجل من بنى سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنما له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا عليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية^(١).

واسم القاتل مُحَلَم بن جثامة الليثى، واسم المقتول عامر بن الأصبط الأشجعى، وقائد السرية التى وقع فيها هذا الحدث عبد الله بن أبى حدر.

فلقد روى أنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم؛ فخرجت فى نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربيع، ومحلّم بن جثامة بن قيس الليثى، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم، مر بنا عامر بن الأصبط الأشجعى على قعود له، معه مُتَبِّع، ووضب من لبن، فلما مر بنا سلم علينا بتحيةة الإسلام، فأمسكنا عنه وحمل عليه محلّم بن جثامة الليثى لشيء كان بينه وبينه فقتله، وأخذ بعيه ومتيّعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر، نزل فينا القرآن ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾. قال ابن جرير: وقال الواقدي: إنما كان رسول الله ﷺ بعث هذه السرية، حين خرج لفتح مكة فى شهر رمضان، وكنا ثمانية أنفار^(٢). والمعروف أن فتح مكة كان فى السنة الثامنة من الهجرة كما سبق ذكره.

قول الله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية: ٢٤].

نزلت فى شأن سبايا أوطاس فى العام الثامن الهجرى.

فقد روى مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن أبى سعيد الخدرى قال: أصبنا سبايا من سبى أوطاس، لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج، فسألنا النبي ﷺ - فنزلت: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ الآية، يقول: إلا ما أفاء الله

(١) صحيح البخارى ٥٩/٦.

(٢) تاريخ الطبرى ٣/٣٦.

عليكم. فاستحللنا بها فروجهن^(١).

وأوطاس؛ وادٍ في ديار هوازن، كانت فيه وقعة حنين للنبي ﷺ ببني هوازن، ويومئذ قال النبي ﷺ: حمى الوطيس. وقال ابن شبيب: الغور من ذات عرق إلى أوطاس، وأوطاس على نفس الطريق، ونجد في حد أوطاس إلى القريتين^(٢).

وقد ذكر ابن هشام في سيرته، وابن جرير في تاريخه^(٣) أن غزوة حنين كانت بعد فتح مكة مباشرة. ومن هذا يفهم أنها كانت في السنة الثامنة للهجرة.

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصَبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(٤) [سورة النساء - الآية: ٩٣].
نزلت في أخى مقيس بن صبابه الذى قبل دية أخيه ثم وثب على قاتل أخيه فقتله يوم الفتح.

فقد أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة أن رجلاً من الأنصار قتل أخا مقيس بن صبابه، فأعطاه النبي ﷺ الدية فقبلها، ثم وثب على قاتل أخيه فقتله. فقال النبي ﷺ: لا أؤمنه فى حل ولا حرم، فقتل يوم الفتح. قال ابن جريج: وفيه نزلت هذه الآية «ومن يقتل مؤمناً متعمداً»^(٥). وظاهر الرواية أن ذلك كان فى فتح مكة سنة ثمان للهجرة.

قول الله تعالى ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾^(٦)

[سورة النساء - الآية: ٣].

روى البخارى أن عروة بن الزبير سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي النِّكَاحِ﴾^(٧) فقالت: يا ابن أختى هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها تُشركه فى ماله ويعجبه ماله وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط فى صداقها، فيعطىها مثل ما يعطىها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، وبلغوا لهن أعلى سنتهن فى الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن^(٨).

(١) تفسير الطبرى ٨ / ١٥٣ - ١٥٤ وانظر لباب النقول ٦١.

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى ١ / ٢٨١.

(٣) سيرة ابن هشام ٤ / ٦٥ وانظر تاريخ الطبرى ٣ / ٧٠.

(٤) أسباب النزول للواحدى ١١٤ - ١١٥.

(٥) صحيح البخارى ٦ / ٥٣.

قال الأستاذ محمد حسين هيكل: إن هذه الآية نزلت في أخريات السنة الثامنة للهجرة بعد أن كان النبي ﷺ قد بنى بأزواجه جميعاً، ونزلت لتحديد عدد الزوجات بأربع. وقد كان إلى حين نزولها لا حدَّ له^(١).

قول الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (١٧٦) من الآية ١٧٦.

نزلت في جابر بن عبد الله، لبيان ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب، وهي آخر ما نزل من آيات الأحكام، وقيل: بل هي آخر ما نزل من القرآن عموماً.

فقد روى النسائي من طريق ابن الزبير عن جابر قال: اشتكيت وعندي سبع أخوات فدخل على رسول الله ﷺ فنفخ في وجهي فأفقت فقلت يا رسول الله ألا أوصي لأخواتي بالثلث قال أحسن قلت الشطر قال أحسن ثم خرج وتركتي فقال يا جابر لا أراك ميتاً من وجعك هذا وإن الله قد أنزل فبين الذي لأخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول أنزلت هذه الآية في (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله)^(٢).

وروى الشيخان عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت «يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله» وآخر سورة نزلت براءة^(٣).

وقد تعددت الآراء في آخر الآيات نزولاً، فمن قائل إنها آية الربا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة البقرة - الآية: ٢٧٨). ومنهم من يقول: إن آخر الآيات نزولاً ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة - الآية: ٢٨١).

ومن المرجح - على كل حال - أن تكون آخر آية نزلت من آيات الأحكام آية الكلاله هذه؛ يؤيد ذلك في - نظري - ما ثبت في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه قال: ثلاث وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه، الجد والكلاله وباب من أبواب الربا^(٤). وهذا يدل على أن العهد قريب جداً بين نزول آية الكلاله وبين أن لحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى.

وأما آخر الآيات عموماً في النزول فهي قول الله - تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى

(١) سنن أبي داود رقم (٢٨٨٧).

(٢) صحيح البخارى ٦ / ٥٤ - ٥٥. ولباب النقول / ٨٢.

(٣) صحيح البخارى ٦ / ٦٣.

(٤) عمدة التفسير للحافظ ابن كثير ٤ / ٥٦.

اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ كما سبق ذكره.

من كل ما سبق يتبين لنا أن سورة النساء مدنية بإجماع آراء المفسرين، وهي سورة النساء الكبرى خلافا لسورة الطلاق والتي هي سورة النساء الصغرى.

كما يفهم من تاريخ نزول آياتها أنها بدأت نزولا منذ الأيام الأولى لحياة الرسول الكريم بالمدينة، وظلت مفتوحة طوال العهد المدني؛ ترسم الطريق الصحيح والمنهج القويم لحياة المسلمين في المدينة وتنظم لهم أمور معيشتهم وشئون حياتهم.



الفصل الثاني

قراءات السورة

قراءات وإعراب سورة النساء

القراءات؛ علم لبيان كيفية تجويد قراءة^(١) القرآن؛ وهو حلية القراءة، وذلك بإعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، ومن هنا فإن النبي ﷺ كان يحب سماع القرآن من ابن مسعود لتمتعه - رضى الله عنه - بهذه الصفات فى قراءة القرآن. ومن ثم فإنه ﷺ قال «من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»^(٢) يعنى ابن مسعود، قال السيوطى: «وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنًا»^(٣). قال ﷺ لعبد الله بن مسعود: اقرأ على. قلت: يا رسول الله، اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم. فقرأت سورة النساء، حتى أتيت إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾^(٤). قال: حسبك الآن. فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان^(٥).

واللحن، هو الخروج عن قواعد اللغة العربية الصحيحة، وقد حث النبي ﷺ على إعراب القرآن لما روى عن عبد الله المقبرى عن أبيه عن جده عن أبى هريرة: أن النبي ﷺ قال: «اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه»^(٦). وإلى هذا المعنى أشار ابن مسعود بقوله: جردوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربى والله يحب أن يعرب به.

(١) التجويد؛ بمعنى الإجادة؛ ويقصد بها إجادة القرآن ولا يُظن بأنها تلك الحرفة التى انتشرت فى أيامنا هذه من قراءة الملحنين للقرآن والذين يحيون الليالى على اختلاف مناسبتها وتنصب لهم الميكروفونات والسماعات ذات الترددات المزعجة فليس ذلك من الدين فى شيء.

(٢) راجع نيل الأوطار للشوكانى ٢٦١/٢ و البداية والنهاية لابن كثير ١٣٥/٩.

(٣) راجع: الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١/١٣٢.

(٤) حديث صحيح. صحيح البخارى رقم (٥٠٥٠).

(٥) بلفظ أعربوا سنده ضعيف. العراقى فى تخريج الإحياء ١/٣٨٤.

ومن غير معرفة إعراب القرآن الكريم تتغير المعانى فيه بحيث لا يكون قرآناً؛ فعن ابن أبى مليكة قال: قدم أعرابى فى زمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه، فقال: «من يقرئنى بما أنزل الله على محمد ﷺ؟ قال: فأقرأه رجل براءة؛ فقال: أن الله برئ من المشركين ورسوله (بالجر) فقال الأعرابى: أو قد برئ الله من رسوله فإن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر مقالة الأعرابى، فدعاه فقال: يا أعرابى! أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقال يا أمير المؤمنين، إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يُقرئنى؟ فأقرئنى هذا سورة براءة. فقال: أن الله برئ من المشركين ورسوله. فقلت: «أوقد برئ الله من رسول، إن يكن الله برئ من رسوله، فأنا أبرأ منه. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابى قال: فكيف هى يا أمير المؤمنين؟ قال: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة التوبة - الآية ٣]. (بالضم) فقال الأعرابى: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ألا يُقرئ الناس إلا عالمً باللغة. وأمر أبا الأسود فوضع النحو^(١).

والقرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، وكيفما كان الأمر فى كُنْه هذه السبعة فإنها صحيحة متواترة يُتعبد بالقراءة بها. روى مسلم عن أبى بن كعب قال: «كنت فى المسجد. فدخل رجل يصلى. فقرأ قراءة أنكرتها عليه. ثم دخل آخر. فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ. فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه. ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأ. فحسن النبى ﷺ شأنهما. فسقط فى نفسى من التكذيب. ولا إذا كنت فى الجاهلية. فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيتنى ضرب فى صدرى. ففضت عرقاً. وكأنا أنظر إلى الله عز وجل فرقا. فقال لى «يا أبى! أرسل إلى: أن أقرأ القرآن على حرف. فرددت إليه: أن هون على أمتى. فرد إلى الثانية: أقرأه على حرفين. فرددت إليه: أن هون على أمتى. فرد إلى الثالثة: أقرأه على سبعة أحرف. فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألينها. فقلت: اللهم! اغفر لأمتى. وأخرت الثالثة ليوماً يرغب إلى الخلق كلهم. حتى إبراهيم عليه السلام»^(٢).

يتبين من كل ما سبق الأهمية البالغة للنحو والقراءات فى تلاوة القرآن الكريم والنساء

واحدة من السور.

(١) راجع فى ذلك: تفسير القرطبى ١ / ١٥ وما بعدها.

(٢) حديث صحيح. صحيح مسلم رقم (٨٢٠).

ولنشرع في البيان إن شاء الله تعالى:

قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْقَرًا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ وَأَتُوا أَيْلِنَعْمَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَيْرَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [سورة النساء - الآية: ١، ٢].

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر تَسَاءَلُونَ بتخفيف السين^(١) على حذف إحدى التائين، فأصلها تَتَسَاءَلُونَ.

بينما قرأ الباقر بالتشديد^(٢) تَسَاءَلُونَ على إدغام التاء في السين، وقد حدث هذا الإدغام لأن التاء لها صفات السين، فهما من الحروف المهموسة، كما أنهما متقاربان في المخرج، إذ إن مخرج السين من طرف اللسان مع الثنايا، ومخرج التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا^(٣).

والقياس في إدغام ما يُدغم من الحروف المتقاربة، هو قلب الأول إلى الثاني، لا العكس، إلا إذا دعا الحال إلى ذلك نحو (أذكر وأذكر)^(٤) ولما كان التقاء المثليين مكروهاً لثقله من الإدغام فقلب المتقارب أوكد من تسكين النظير^(٥).

- كما قرأ حمزة «والأرحام» بالخفض عطفاً على الضمير المجرور في (به). وقرأ الباقر بنصبها^(٦) عطفاً على لفظ الجلالة.

واختلف علماء النحو في خفض (والأرحام) فقال الكوفيون: هو قبيح. وقال البصريون: هو لحن لا تحل القراءة به.

وقال سيبويه لا يعطف على المضمرة المخفوض لأنه بمنزلة التنوين، والتنوين لا يعطف عليه. وقال جماعة: هو معطوف على المكنى فإنهم كانوا يتساءلون بها يقول الرجل: سألتك بالله والرحم^(٧).

ولا أرى لعلماء النحو مسوغاً في اختلافهم هذا أمام تواتر القراءة. فمن ردّها أو استقبلها

(١) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٢ / ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ونفس الصفحة.

(٣) علم اللغة العام (الأصوات) كمال محمد بشر ٩٣.

(٤) علم الفصاحة العربية لمحمد على رزق / ٢٤٥.

(٥) الخصائص لابن جني ٢ / ١٤٠ بتحقيق محمد على النجار.

(٦) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٢ / ٢٤٧.

(٧) تفسير القرطبي ٣ / ١٥٧٢ - ١٥٧٣.

فقد ردّ ذلك على الله عز وجل، إذ نزل بها الوحي الأمين.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ (سورة النساء - الآية ٢).

بالطيب مفعول ثانٍ لـ تبدّلوا، والباء زائدة فيها للمقابلة وتدخّل على المتروك كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ (سورة البقرة - الآية ٦١) والطيب - في الآية - مال الأوصياء على اليتامى الذي أحله الله لهم، والخبِيث مال اليتامى حينما يستقل به الأوصياء.

وقد كانوا في الجاهلية لا يتخرجون عن أموال اليتامى فيأخذون الجيد منه، ويبدلونه بالردىء، ويقولون: اسم باسم، ورأس برأس فنهاهم الله عن ذلك^(١). إلى أموالكم؛ حرف الجر متعلق بمحذوف، والتقدير: مضافة إلى أموالكم. والجملة في موضع الحال.

إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا. حوبا، اسم مصدر، أي إثما عظيما، وفيه ثلاث لغات؛ حوبا بضم الحاء، وهي قراءة العامة ولغة أهل الحجاز وبها جاء التنزيل.

وقرأ الحسن - شاذًا - حوبا (بفتح الحاء) وقرأ أبي (حابا) على المصدر مثل القال^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَتِلْكَ

وَرَبِّعَ﴾ (سورة النساء - الآية ٣).

فانكحوا؛ جواب الشرط في قوله: وإن خفتم. فقد كانوا يتخرجون من الولاية في أموال اليتامى، ولا يتخرجون من الاستكثار من النساء، والجور يقع بينهن إذا كثرن. فكأنه يقول لهم: إذا تخرجتم من هذا فتخرجوا من ذاك^(٣).

وهناك من يجعل فواحدة؛ جواب الشرط لقوله ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ كأنه؛ على تقديرهم إن خفتم ألا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا واحدة، ولما طال الفصل ذكر فإن خفتم ألا تعدلوا^(٤).

وهذا التقدير فيه نظر؛ لأنه أهمل الجواب الأول ﴿فَانكِحُوا﴾ والآية - في الحقيقة - بها أسلوبا شرط، الأول: (وإن خفتم) وجوابه (فانكحوا).

(١) تفسير القرطبي ٣ / ١٥٧٩.

(٢) تفسير القرطبي ٣ / ١٥٨٠ - ١٥٨١.

(٣) تفسير القرطبي ٣ / ١٥٨١.

(٤) إملأه ما من به الرحمن للكبرى ١ / ١٦٦.

والثانى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ وجوابه (فواحدة).

﴿تُقَسِّطُوا﴾ قرأ ابن وثاب والنخعي - شاذاً - تُقَسِّطُوا بفتح التاء من (قَسَطَ) على تقدير زيادة (لا) (١).

﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ﴾ حمزة يميل طاب. والإمالة لغة؛ مصدر أملت الشيء إمالة: عدلتُ به إلى غير الجهة التي هو فيها.

واصطلاحاً: أن تذهب بالفتحة إلى جهة الياء إن كان بعدها ألف، كالفتى، وإلى جهة الكسرة إن لم يكن ذلك (كنعمة وبسحر) وأصحابها: بنو تميم وأسد، وقيس وعامة نجد (٢).

وفائدة الإمالة، سهولة اللفظ؛ ذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع. فلهذا أمال من أمال. وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل (٣).

وإمالة ﴿طَابَ﴾ للياء التي تُعْرَضُ لفائها عند اتصال ﴿طَابَ﴾ بالضمير المرفوع (متكلم - مخاطب - نون جماعة). هذا قول سيوييه ويمكن أن يقال: إن الإمالة فيها ليست بسبب أن الألف منقلبة عن ياء، ولكن إذا أطلقوا المنقلب عن ياء أو واو فى هذا الباب فلا يريدون إلا المتطرف (٤).

﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ معدولة من الأعداد اثنين وثلاثة وأربعة. وليس حصراً للعدد؛ وهى بمعنى اثنين اثنين، وثلاث ثلاث، وأربع أربع. والواو بدل وضع فاصلة، انكحوا ثلاثاً بدلاً من اثنين، ورباعاً بدلاً من ثلاث، ولذا كان العطف بها وليس بـ (أو) التى لو جاء العطف بها لما جاز لصاحب المثنى ثلاث، ولا لصاحب الثلاث رباع. فالواو - إذا - ليست للعطف الموجب للجمع (٥).

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِّلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية: ٣].

(١) تفسير القرطبي ٣ / ١٥٨٢ و شذا العرف للحملوى / ١٧٢.

(٢) شذا العرف للحملوى / ١٧٢.

(٣) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٣٥.

(٤) نفس المصدر ٢ / ٣٤.

(٥) تفسير القرطبي ٣ / ١٥٨٥.

قرأ أبو جعفر ﴿فَوَجِدَةٌ﴾ بالرفع وقرأ الباقون بالنصب^(١)؛ فالرفع على أنها فاعل والتقدير؛ فتكفي واحدة، أو خبر لمبتدأ محذوف على تقدير فالمقتع واحدة، أو مبتدأ لخبر محذوف؛ فواحدة تكفي. وعلى هذه القراءة فإن الرجل يكتفي بالواحدة إذا خاف الجور. ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (أو) حرف عطف يفيد التخيير؛ فملك اليمين معطوف على (فواحدة)؛ أى إن الله جعل ملك اليمين بمنزلة الواحدة فانتهى بذلك أن يكون لأمة، حق فى الوطء أو القسم .

قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (سورة النساء - الآية ٥).

قرأ نافع وابن عامر ﴿قِيَمًا﴾ بغير ألف بعد الياء، وقرأ الباقون بالألف^(٢). والقيام والقوام؛ ما يقيم؛ ولما انكسرت القاف من قوام أبدلوا الواو ياء. وقِيَمًا وقواما بمعنى: قياما، وانتصب على المصدر^(٣).

وقرأ عبد الله بن عمر (قواما) بالواو. وقوام الشيء ما يقيم به؛ كقولك: هو ملاك الأمر لما يملك به. وكان السلف يقولون: المال سلاح المؤمن^(٤).

قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (سورة النساء - الآية ١٠).

قرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الياء فى قوله (سيصلون) وقرأ الباقون بفتحها^(٥). وضم الياء على ما لم يُسمِّ فاعله، من أصله الله حر النار إصلاء؛ أى يوضع فيها مرغما بقصد التعذيب كما فى قوله تعالى : ﴿سَأْصَلِيهِ سَقْرًا﴾ (سورة المدثر - الآية ٢٦).

وقرأ أبو حيوة - شاذًا - (سيصلون) بضم الياء وتشديد اللام، وهو يفيد كثرة الفعل والمبالغة فيه، كما فى قوله تعالى : ﴿تُرْجِحِمَ صَلْوَةً﴾ (سورة الحاقة - الآية ٣١). وقُرئ (سيصلون) بفتح الياء، من صلى النار صلا وصلاء، أى يعذب هو بذاته؛ إذ الصلاء:

(١) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٧ .

(٢) نفسه ٢ / ٢٤٧ .

(٣) تفسير القرطبي ٣ / ١٦٠١ .

(٤) تفسير الكشاف للزمخشري ١ / ٣٤٨ .

(٥) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٧ .

التسخين بقرب النار أو مباشرتها^(١).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [سورة النساء - الآية ١١]..
قرأ المديان^(٢) (واحدة) بالرفع وقرأ الباقون بالنصب^(٣). فمن قرأ بالرفع فعلى معنى (كان التامة) والتقدير: وإن وجدت واحدة. ومن قرأ بالنصب فعلى معنى (كان الناقصة) أى: وإن كانت الوارثة واحدة.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ﴾ [سورة النساء - الآية ١١].
قرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة فى قوله (فلأمه) وهى لغة حكاها سيبيويه وقال الكسائي: هى لغة كثير من هوازن وهذيل. وخرجها النحاس بقوله: لما كانت اللام مكسورة، وكانت متصلة بالحرف، كرهوا ضمة بعد كسرة، فأبدلوا بالضمة، ومن ضم جاء على الأصل لإمكانية انفصال اللام لأنها داخلية على الاسم^(٤).

قوله تعالى: ﴿بَعْدَ وَصِيَّةِ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [سورة النساء - الآية ١١].
قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بفتح الصاد فى (يوصى) فى الموضعين، ووافقهم حفص فى الأخير منهما. وقرأ الباقون بكسر الصاد فيهما^(٥)؛ لأنه جرى ذكر الميت قبل ذلك وتصديق ذلك (بوصيين وتوصون) قال الطبرى والآية: كلها عنن قد سُمى فاعله.

﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [سورة النساء - الآية ١١] فالقراءة بالكسر أولى من الفتح^(٦).

والحقيقة أن الطبرى - رحمه الله - جانب الصواب فى ترجيح قراءة على أخرى، فكل منهما تواتر عن النبى ﷺ، وكان عليه أن يذكر القراءة والوجه الذى تحتمله، لا أن يرجح إحداها على الأخرى.

﴿بَعْدَ وَصِيَّةٍ﴾ يجوز أن تكون حالا من (السدس) والعامل فيها الظرف، والتقدير: مستحقا من بعد وصية.

(١) تفسير القرطبي ٢ / ١٦٢٣ - ١٦٢٤.

(٢) المديان هما نافع وأبو جعفر.

(٣) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٧.

(٤) نفسه ٢ / ٢٤٧.

(٥) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٨.

(٦) تفسير الطبرى ٨ / ٤٨ تحقيق.

ويجوز أن تكون ظرفاً، أى يستقر لهم ذلك بعد إخراج الوصية ولا بد من تقدير حذف المضاف، لأن الوصية - هنا - المال الموصى به. وقيل: تكون الوصية مصدراً مثل الفريضة^(١).

﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ ليست (أو) - هنا - للتخيير، ولكنها للجمع المطلق كالواو. قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [سورة النساء - الآية ١٢].

﴿كَانَ﴾ - فى هذه الآية - إما أن تكون تامة أو ناقصة، فإن كانت تامة فيكون ﴿رَجُلٌ﴾ فاعليها، وهو الميت، و﴿يُورَثُ﴾ صفة له، و﴿كَالَةً﴾ حال من الضمير فى ﴿يُورَثُ﴾، ويكون معنى الكلالة - على هذا - الميت الذى لم يترك والداً ولا ولداً^(٢).

وإن كانت ﴿كَانَ﴾ ناقصة فيكون ﴿رَجُلٌ﴾ اسمها، و﴿يُورَثُ﴾ خبرها، و﴿كَالَةً﴾ حال أيضاً.

وقد قرأ بعض الكوفيين (يورث) بكسر الراء وتشديدها، وقرأ الحسن وأيوب (يورث) بكسر الراء وتخفيفها^(٣).

فمن قرأ بفتح الراء احتتمل أن تكون الكلالة المال والتقدير - حينئذ - يورث وراثه كلاله.

قول الله تعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهَمَّ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ [سورة النساء - الآية ١٢].

قرأ أبى - شاذلاً - وله أخ أو أخت من الأم، وقرأ سعد بن أبى وقاص - شاذلاً أيضاً - أو أخت من أم^(٤).

وهذه القراءة - وإن كانت من الشواذ - إلا إنها تقطع بأن آية الكلالة هذه تعنى الأخوة والأخوات لأم؛ يؤيد ذلك أنصباؤهم من التركة، فإذا اجتمعوا اشتركوا فى الثلث بالتساوى

(١) إملاء ما من به الرحمن للعكرى ١ / ١٦٩ .

(٢) تفسير الطبرى ٨ / ٥٨ وإملاء ما من به الرحمن ١ / ١٦٩ .

(٣) تفسير القرطبي ٣ / ١٦٤٧ .

(٤) تفسير الطبرى ٨ / ٥٨ .

بين الذكر والأنثى ، وليس ميراث الأشقاء أو لأب كذلك ، فقد بينت آية الكلاله الأخيرة من السورة نصيب كل واحد منهم. إلا أن آيتى الكلاله - الأولى والثانية - من السورة اشتركت فى الدلالة على أن الإخوة بأى طريق يورثون ميراث كلاله ، أو هم كلاله فى حالة فقد الأصل الوارث أو الفرع الوارث.

قول الله تعالى: ﴿غَيْرُ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ﴾ [سورة النساء - الآية ١٢].

﴿غَيْرٌ﴾ نصب على الحال ، والعامل (يوصى) ويكون المعنى - والله أعلم - يوصى بها غير مدخل الضرر على الورثة. والإضرار راجع إلى الدين والوصية؛ فأما الإضرار بالدين؛ فوصية المورث بدين ليس عليه للإضرار؛ بورثته. وأما الإضرار بالوصية فبأن يوصى بأكثر من الثلث^(١).

وقرأ الحسن - شاذاً - غير مضار وصية (بتشديد الراء وكسر التاء فى وصية) وزعم بعض أهل اللغة - كما يقول القرطبى - أنه لحن حيث أضاف اسم الفاعل إلى المصدر. ولكن القراءة يحسنها القرطبى على حذف بتقدير؛ غير مضار ذى وصية أو؛ وقت وصية.

قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٩].

قرأ حمزة والكسائى وخلف بضم الكاف فى ﴿كَرِهًا﴾ ، وقرأ الباقون بالفتح^(٢).

قال ابن منظور: أجمع كثير من أهل اللغة أن (الكره) و (الكره) (بالفتح للأولى، والضم للثانية) لغتان، وبأى لغة وقع فهو جائز، ومعناها واحد. إلا أن الفراء زعم أن الكره (بالضم) ما أكرهت نفسك عليه تقول: جئتك كرها (بالضم)، والكره (بالفتح) ما أكرهك غيرك عليه تقول: أدخلتني كرها. والكره (بالضم) المشقة كما فى قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ﴾ [سورة البقرة - الآية ٢١٦].

ولم يقرأ أحد بالفتح. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ءَاسَلَمٌ مِّنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرِهًا﴾ [سورة آل عمران - الآية ٨٣].

ولم يقرأ أحد بضم الكاف: فيصير الكره (بالفتح) فعل المضطر^(٣).

(١) تفسير القرطبى ٣ / ١٦٥٠ وإملاء ما من به الرحمن ١ / ١٧٠.

(٢) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٨ .

(٣) لسان العرب، مادة (ك ر ه).

وعلى القراءتين فإن معنى الآية: لا يحل لكم أن تأخذوا النساء على سبيل الإرث كارهات لذلك أو مكراهات عليه. وقد انتصب (كرها) على الحال من المفعول.
ولفظ (النساء) فى الآية إما أن يكون مفعول أول، أو مفعول ثان؛ فإن كان مفعولاً أولاً كانت (النساء) هى الموروثات كالمعتاد، كما كان الحال فى الجاهلية، وإن كان اللفظ مفعولاً ثانياً فيكون التقدير: بأن يرثوا من النساء المال^(١).

﴿لَا أَنْ يَأْتِينَ بِفَحِشَةٍ مُّبِينَةٍ﴾ [سورة النساء - الآية ١٩].
قرأ نافع وأبو عمرو (مبيئة) بكسر الياء، وقرأ الباقون بفتحها، وقرأ ابن عباس بكسر الباء وسكون الياء^(٢). فمن فتح الياء فقد جعلها اسم مفعول بمعنى: قد بينت لكم وأعلنت. ومن قرأ بالكسر فقد جعلها اسم فاعل، أى: إنها ظاهرة للناس.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٤].
قرأ الكسائي بكسر الصاد حيث وقع معرفاً أو منكراً فى قوله والمحصنات، إلا الحرف الأول - من هذه السورة - وهو قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ فقد قرأ بفتح الصاد كالجماعة، لأن معناه ذوات الأزواج، وكذلك قرأ الباقون^(٣).

وأصل الإحصان: المنع، والمرأة تكون محصنة بالإسلام أو العفاف، والحرية، والتزويج، ويقال: أحصنت المرأة فهى محصنة ومحصنة (بالفتح والكس) وكل امرأة عفيفة محصنة ومحصنة. أما كل امرأة متزوجة فهى محصنة (بالفتح لا غين) وقد قال أبو عبيد: أجمع القراء على نصب الصاد فى الحرف الأول من النساء، فلم يختلفوا فى فتح هذه لأن تأويلها ذوات الأزواج، يُسَبِّئُ فيحلهن السباء لمن وطئها من المالكين لها، وتنقطع العصمة بينهما وبين أزواجهن بأن يحضن حيضةً ويطهرن منها. فأما سوى الحرف الأول من هذه السورة فالقراء مختلفون؛ فمن نصب الصاد، ذهب إلى ذوات الأزواج، ومن كسرهما ذهب إلى أنهن أسلمن فأحصن أنفسهن فهن محصنات^(٤).

قول الله تعالى: ﴿وَأَجَلَ لَكُمْ مَا وَّرَاءَ ذَلِكَ﴾ [سورة النساء - الآية ٢٤].
قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف وحفص بضم الهمزة فى وأجل، وكسر الحاء،

(١) إملاء ما من به الرحمن ١ / ١٧٢ .

(٢) النشر لابن الجزرى ١ / ٢٤٨ وتفسير القرطبي ٣ / ١٦٦٦ .

(٣) النشر ٢ / ٢٤٩ .

(٤) لسان العرب، مادة: (ح ص ن) .

وقرأ الباقون بفتحها^(١). فمن قرأ بالضم فقد جعلها معطوفة على (حرمت عليكم). ومن قرأ بالفتح فعلى تسمية الفاعل، و (أحل) معطوفة على الفعل الناصب لـ (كتاب) وظاهر ذلك يقضى ألا يحرم من النساء إلا من ذكر، وليس كذلك، فإن الله حرم على لسان نبيه ﷺ ما لم يذكر في الآية؛ لما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا يُجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها^(٢).

والقول في ذلك أن الحديث متلقى من آية التحريم، فالنهي عن الجمع بين المرأة وعمتها، وبين المرأة وخالتها مأخوذ من الآية، لأن الخالة في معنى الوالدة، والعمة في معنى الوالد. ويصير المعنى - على قراءة المصحف - قد أحللت لكم ما وراء ما ذكر في الكتاب، وما أكملت به البيان على لسان محمد ﷺ، إذ أن السنة موضحة للقرآن ومفسرة له^(٣).

قول الله تعالى: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٣١].

قرأ المدنيان (مدخلا) بفتح الميم وقرأ الباقون بضمها^(٤). وقال ابن منظور: (المدخل) بالفتح؛ الدخول، وموضع الدخول أيضاً، تقول دخلت مدخلا - بالفتح - حسناً، ودخلت مدخل صدق. والمدخل (بالضم) الإدخال، والمفعول من أدخله، تقول: أدخلته مدخل صدق^(٥).

وعلى هذا فإن مُدْخَلَ (بالضم) يحتتمل أن تكون بمعنى المصدر (إدخالاً)، والمفعول محذوف والتقدير: ودخله الجنة إدخالاً، ويحتتمل أن تكون بمعنى المكان فتكون مفعولاً. وأما مَدْخَلَ (بالفتح) فيجوز أن تكون مصدر دخل ويكون منصوباً بإضمار فعل.

ومن العجيب أن الطبري - رحمه الله - يرجح القراءة بالضم؛ ويعلل ذلك بقوله: إن الفعل (أدخل) مبنى على أربعة أحرف، والمدخل مصدره أولى من مفعل^(٦). وكأنه يريد أن يخضع القراءات التي ثبتت بالتواتر لقواعد اللغة، وليس كذلك، فالأصل أن نحتكم في قواعد اللغة إلى القرآن لا العكس، وفي هذا الصدد يقول الدكتور لبيب سعيد: وكان على

(١) النشر في القراءات العشر - ٢ / ٢٤٩ .

(٢) صحيح مسلم - الحديث رقم ١٤٠٨ - ٢ / ١٠٢٨ .

(٣) تفسير القرطبي ٣ / ١٦٩٤ .

(٤) النشر في القراءات العشر ٢ / ٢٤٩ .

(٥) لسان العرب ٢ / ١٣٤١ .

(٦) تفسير الطبري ٨ / ٢٥٩ .

ويعلل لذلك بقوله: لخروجه عن المعروف في منطوق العرب؛ وذلك لأن العرب لا تحذف الفاعل مع المصادر، من أجل أن الفاعل إذا حذف معها لم يكن للفعل صاحب معروف. ويرد الدكتور لبيب سعيد على الطبرى بقوله: وأبو جعفر الذى يقبح قراءته الطبرى أحد القراء العشرة الذين تواترت قراءاتهم جميعاً؛ وتواترت هذه القراءات شامل لأصلها وأجزائها ووضعها وترتيبها، ولا يُقبل أى حكم جائر يصدر عن أى إنسان على القراءات المتواترة. كما يرى الدكتور أن أى قراءة متواترة ليست جائزة فحسب. إنما هى واجبة وجوباً بسبب أساسى هى أنها بعض النص القرآنى المعجز دائماً بلفظه ومعناه كليهما^(١).

قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٤٢) [سورة النساء - الآية ٤٢].

قرأ حمزة والكسائى وخلف بفتح التاء وتخفيف السين فى قوله (تَسَوَّى). وقرأ المدنيان وابن عامر بفتح التاء وتشديد السين. وقرأ الباقون بضم التاء وتخفيف السين^(٢). فعلى الوجه الأول والثانى فبمعنى: لو تتسوى بهم الأرض، أى تمنوا لو انفتحت بهم الأرض فساخوا فيها، أو يودون لو صاروا تراباً فكانوا هم والأرض سواء؛ والأرض - هنا - فاعل. و﴿تَسَوَّى﴾ بتشديد السين والواو، أصلها: تتسوى، وأدغمت التاء الثانية فى السين.

وأما من فتح التاء وخفف السين وترك التشديد، فإنه قد علل لذلك بأن العرب لا تكاد تجمع بين تشديدين بحرف واحد، فالتشديد على الإدغام، والتخفيف على حذف التاء. ومن قرأ ﴿تَسَوَّى﴾ بضم التاء وتخفيف السين وتشديد الواو فهى على ما لم يسم فاعله، والهاء فى (بهم) بمعنى (على) أى: لو تسوى عليهم^(٣).

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَّيْنِ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ (٤٣) [سورة النساء - الآية ٤٣].

قرأ حمزة والكسائى وخلف (لستم) بغير ألف وقرأ الباقون بالألف^(٤). اللمس: الجس، والمس باليد. واللمس: كناية عن الجماع، والملامسة أكثر ما جاءت من اثنين، كما يقول

(١) دفاع عن القراءات المتواترة فى مواجهة الطبرى المفسر / ٢١ .

(٢) النشر فى القراءات العشر - ٢ / ٢٤٩ .

(٣) تفسير القرطبى ٣ / ١٧٦٨ وتفسير الطبرى ٨ / ٣٧٢ .

(٤) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٠ .

ابن منظور^(١).

وعلى هذا فالقراءتان كناية عن الجماع والغشيان، خاصة وقد صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قَبِلَ بعض نساته، ثم صَلَّى ولم يتوضأ، فعن عائشة قالت: «كان النبي ﷺ يتوضأ، ثم يقبل، ثم يصلي ولا يتوضأ^(٢)». وعنهما - رضى الله عنها - أنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتها والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح^(٣).

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَعْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ ﴿٩٤﴾

[سورة النساء - الآية ٩٤].

قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثبتوا) من التثبت، وقرأ الباقر (فتبينوا)^(٤). التبين بمعنى النظر والكشف عنه حتى يتضح. يقال: تبين الأمر، وتبين الأمر بنفسه، فهو متعذر ولازم. وتثبتوا: من التثبت الذى هو خلاف العجلة. والتبين يكون فى الأشياء المشاهدة والذى يمكن للإنسان رؤيتها وملاحظتها، وأما التثبت فهو فى الأشياء المخفية غالباً^(٥).

بيد أن التثبت يدخل فيه أحكام كثيرة من الاعتقادات والأخبار والأفعال وسائر الأعمال ويجب - بموجب الثبات - الأخذ بالظاهر؛ فمن أظهر الإسلام أو شيئاً من شعائره لا يكذب بل يقبل منه.

والآية تدعو إلى التبين الذى هو فى المشاهد، وإلى التثبت وعدم العجلة فى الحكم على الأشياء. فالقراءتان متمشيتان مع أسباب نزول الآية الكريمة.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلْسَنَ لَسْتُمْ مُؤْمِنًا﴾ ﴿٩٤﴾

[سورة النساء - الآية ٩٤].

قرأ المدنيان وابن عامر وحمزة وخلف (السلام) بحذف الألف، وقرأ الباقر بإثباتها^(٦).

(١) لسان العرب مادة (ل م س) .

(٢) صحيح تفسير الطبرى ١٤٢/٤. و عمدة التفسير لابن كثير ١٨٥ / ٣

(٣) صحيح. صحيح البخارى رقم (٥١٣) سنن النسائى ٨٥ / ١.

(٤) النشر فى القراءات العشر - ٢ / ٢٥١ .

(٥) تفسير الطبرى ٨١ / ٩ - ٨٢ وتفسير القرطبي ١٩٠٧ / ٣ وما بعدها .

(٦) النشر ٢ / ٢٥١ .

وقال البخارى: (السَّلْمُ والسَّلْمُ والسلام واحد)^(١).

يقول ابن منظور: السلم؛ الإسلام. والسلم الاستخذاء والانقياد والاستسلام. وقوله تعالى: «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» وقرئت (السلام) بالألف، فأما السلام فيجوز أن يكون من التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى: السَّلْم وهو الاستسلام وإلقاء المقادة إلى إرادة المسلمين^(٢).

والآية نزلت فى رجل قتله المسلمون فى سرية من السرايا، وكان قد ألقى عليهم السلام مستسلماً لهم، ومنقاداً، وخاضعاً لأمرهم، وفى رواية أخرى أنه قال: أشهد أن لا إله إلا الله^(٣) فيكون بذلك قد أظهر إسلامه، ويكون معنى السلام والسلم هو: الانقياد والخضوع والاستسلام وإظهار الإسلام، وكذلك قوله: السلام عليكم، يقصد التحية والله - تعالى - أعلم. وقوله تعالى (لست مؤمناً) قرأ أبو جعفر (مؤمناً) بفتح الميم الثانية. وقرأ الباقون بكسرها^(٤). فمن قرأ بالفتح فعلى اسم المفعول، أى؛ لا تؤمنك على نفسك. ومن قرأ بالكسر؛ فمن الإيمان؛ أى إنك تتظاهر بالإيمان كى تأمن منا.

قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ (١٥)

[سورة النساء - الآية: ٩٥].

قرأ المدنيان وابن عامر والكسائى وخلف بنصب الراء فى (غير) وقرأ الباقون برفعها^(٥). وقرأ أبو حيوة - شاذاً - (غير) بالجر^(٦).

فمن قرأ بالنصب فعلى الاستثناء من القاعدين، أو من المؤمنين وتكون بمعنى؛ إلا أولى الضرر فإنهم يستون مع المجاهدين.

ومن قرأ بالرفع، فقد جعلها نعتاً للقاعدين؛ لأنهم لم يقصد بهم قوم بأعيانهم. فصاروا كالنكرة، وجاز وصفهم بغير، ويصير المعنى - والله أعلم - لا يستوى القاعدون الذين هم غير أولى ضرر، ومن قرأ بالكسر فقد جعلها نعتاً للمؤمنين الذين هم غير أولى الضرر من المؤمنين الأصحاء.

(١) صحيح البخارى ٥٩/٦.

(٢) لسان العرب، مادة (س ل م).

(٣) تفسير الطبرى ٧٨ / ٩.

(٤) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٥١.

(٥) المصدر السابق: ٢ / ٢٥١.

(٦) القرطبي ٣ / ١٩١٣ وتفسير الكشاف ١ / ٣٨١.

قول الله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (١٣٨) [سورة النساء - الآية ١٢٨].

قرأ الكوفيون (يُصلحا) بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام من غير ألف. وقرأ الباقون بفتح الياء والصاد واللام وتشديد الصاد وألف بعدها^(١) (يَصَالِحَا).

وعلى القراءة الأولى فإن (يُصلحا) بمعنى أصلح الزوج والمرأة بينهما. وعلى الثانية (يَصَالِحَا) فإنها بمعنى يتصالحا، ثم أدغمت التاء في الصاد فصارت صاداً مشددة وهي الأوضح والأكثر على ألسنة العرب من الإصلاح، ويقال تصالح القوم، لا أصلح القوم^(٢).

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ نَعِيتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (١٣٥) [سورة النساء - الآية ١٣٥].

قرأ ابن عامر وحمزة (تلوا) بضم اللام وواو ساكنة بعدها، وقرأ الباقون بإسكان اللام وبعدها واوان؛ وأولاهما مضمومة والأخرى ساكنة^(٣). فمن قرأ (تلوا) بواوين فهي من لوى يلوى ليا، واللى؛ هو المدافعة، والأصل تلويوا، وحذفت الضمة على الياء، لثقلها، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين، وضمت الواو لأجل واو الضمير^(٤).

قال ابن عباس: هو القاضى يكون ليئه وإعراضه لأحد الخصمين على الآخر؛ أى تشدده وصلابته. أو أنها من لوانى الرجل حقى، والقوم يلوونى دينى، وذلك إذا مطلوه.

وأما من قرأ (تلو) بواو واحدة، فإنها بمعنى الولاية أى؛ وإن تلوا أمور الناس. والطبرى - رحمه الله - يستبعد هذه القراءة، ويقطع بفسادها؛ معللا ذلك بقوله: وهذا معنى إذا وجّه القارئ قراءته على ما وصفنا إليه، خارج عن معانى أهل التأويل، وما وجه إليه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، تأويل الآية^(٥).

وسبق ابن قتيبة الطبرى فى هذا، إذ يقول: لا وجه للولاية هنا، إنما تلوا، بواوين من ليك فى الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر، قال الله عز وجل ﴿يَكُونُ

(١) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٥٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٣ / ١٩٧٣ - وتفسير الطبرى ٩ / ٢٧٩ .

(٣) النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٥٢ .

(٤) السبعة فى القراءات. لابن مجاهد / ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٥) تفسير الطبرى ٣١٠/٩

أَلَسِنْتَهُمْ بِالْكِتَابِ ﴿٧٨﴾^(١). والقراءة صحيحة، ولا وجه لمن يعترض عليها لأنها متواترة عن النبي ﷺ.

قال ابن منظور: تلاوا الشهادة فتقيموها أو تعرضوا عنها^(٢). والمسلمون أمام تواتر القراءتين وصحة معناهما يأخذون بهما على السواء.

قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٤٥].

قرأ الكوفيون بإسكان الراء في قوله ﴿الدَّرَكِ﴾ وقرأ الباقون بفتحها^(٣). والدرك، والدرك (يسكون وفتح) أقصى قعر الشيء، والدرك الأسفل في جهنم - نعوذ بالله منها - أقصى قعرها، والجمع أدراك، ودركات النار: منازل أهلها، والنار دركات والجنة درجات، والدرك إلى أسفل، والدرج إلى فوق، والدرك بالتسكين لغة في الدرك وحديث ابن عباس أنه قال للنبي ﷺ: أما كان ينفع عمك ما كان يصنع بك؟ كان يحفظك. ويحدّب عليك. فقال: لقد أخرج بسببي من أسفل درك من النار، فهو في ضحضاح من النار ما يظن أن أحدا أشد عذابا منه، وما في النار أهون عذابا منه^(٤).

قول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴿١٥٤﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٥٤].
قرأ ورش (لا تعدوا) بفتح العين وتشديد الدال؛ لأن أصلها (تعدتوا) فنقلت حركة التاء للعين ثم أدغمت التاء في الدال^(٥). وقرأ أبو جعفر، وقالون في أحد وجهيه (تعدوا) بإسكان العين وتشديد الدال لأن أصلها (تعدتوا) فأدغمت التاء في الدال.
والوجه الثاني لقالون؛ اختلاس فتحة العين مع تشديد الدال. وقرأ الباقون (تعدوا) بإسكان العين وتخفيف الدال، مضارع عدا يعدو، كغزا يغزو. فمن قرأ بتخفيف العين فهي من قول القائل: عدوت في الأمر، إذا تجاوزت الحق فيه.

قول الله تعالى: ﴿وَأَعَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٦٣].

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة / ٦٢ .

(٢) لسان العرب، مادة: (ل وى)

(٣) النشر في القراءات العشر - ٢ / ٢٥٣ .

(٤) لسان العرب - مادة (درك) ٢ / ١٣٦٥ .

(٥) النشر في القراءات العشر - ٢ / ٢٥٣ .

قرأ حمزة وخلف (زُبورا) بضم الزاى . وقرأ الباقون بفتحها . فمن قرأ بالضم فهو على جمع (زَبْر) كأنهم وجهوا تأويله : وآتينا داود كتبا وصحفاً مزبورة؛ من قولهم: زَبْرْتُ الكتابَ أَزْبُرُهُ زَبْرًا، وزبرته أَزبره زبرا إذا كتبتَه . ومن قرأ بالفتح فعلى التوحيد، وتصير بمعنى : وآتينا داود الكتاب المسمى (زبوراً)^(١) .

□□□

(١) تفسير الطبرى ٩ / ٤٠١ - وتفسير القرطبي ٣ / ٢٠١٣ .

الفصل الثالث

موضوعات السورة

جدول إحصائي بموضوعات سورة النساء:

رقم الآية	نصها	موضوعها
١	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ انْقِعُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدِوْهُ	عقيدة...
٢	وَمَا تَوْأَلِيَّ بِنْتِكُمْ أُولَئِكَ يَفْعَلُونَ بِالْمَرْءِ بِطَرَفٍ يُحِبُّ بِالْغَيْبِ بِالطَّيِّبِ	يتامى...
٣	وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَنْمَى فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ	نساء اليتامى..
٤	وَمَا تَوْأَلِيَّ النِّسَاءِ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً	نساء (صداق)..
٥	وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ	يتامى وسفهاء..
٦	وَأَنْتُمْ أَلَيْسَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُ إِذَا بُعِثُوا إِلَى الْبَيْتِ	يتامى..
٧	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ	مواريث..
٨	وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ	إحسان إلى اليتامى..
٩	وَلَيْخَشَ الَّذِينَ تَوَكَّرُوا	إحسان إلى اليتامى..
١٠	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا	جزاء آكل مال اليتيم..
١١	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ	مواريث؛ بيان الأنصبة..
١٢	وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ	مواريث..
١٣	تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ	عقيدة..
١٤	وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ	عقيدة..
١٥	وَالَّتِي يَأْتِيكِ الْفَحْشَاءُ مِنْ نِسَائِكُمْ	نساء..
١٦	وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ	نساء..
١٧	إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ	عقيدة..
١٨	فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا	نساء..
١٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ	نساء..

رقم الآية	نصها	موضوعها
٢٠	وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ	نساء..
٢١	وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ، وَقَدْ أَقْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ	نساء..
٢٢	وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ	حرمة نكاح زوجة الأب..
٢٣	حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ	نساء؛ ذكر المحرمات..
٢٤	وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ	نساء..
٢٥	وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ	نساء.. نكاح الإماء..
٢٦	يُرِيدُ اللَّهُ يُبَيِّنَ لَكُمْ	رحمة الله بعباده..
٢٧	وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ	رحمة الله بعباده..
٢٨	يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ	رحمة الله بعباده..
٢٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ	معاملات..
٣٠	وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا	معاملات..
٣١	إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ	عقيدة..
٣٢	وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ	نساء.. مساواتهن في العمل
٣٣	وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ	مواريث..
٣٤	الرِّجَالِ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ	نساء.. قوامة الشقاق..
٣٥	وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا	نساء.. علاج الشقاق..
٣٦	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	عقيدة..
٣٧	الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ	في اليهود..
٣٨	وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِيقَةً النَّاسِ	في اليهود..
٣٩	وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ	في اليهود
٤٠	إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ	عقيدة..
٤١	فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ	عقيدة..

رقم الآية	نصها	موضوعها
٤٢	يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ	عقيدة..
٤٣	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ	عبادات..
٤٤	أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ	فى اليهود..
٤٥	وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ	فى اليهود..
٤٦	مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ	فى اليهود..
٤٧	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ	فى اليهود..
٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	فى العقيدة..
٤٩	أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ	فى اليهود..
٥٠	أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَيْبَ	فى اليهود..
٥١	أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ	فى اليهود..
٥٢	أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ	فى اليهود..
٥٣	أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَالِ	فى اليهود..
٥٤	أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ	فى اليهود..
٥٥	فَيَتَّبِعُهُمُ الْغَيْبُ ۗ وَمَن يَتَّبِعُهُمُ الْغَيْبُ	فى اليهود..
٥٦	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُبَايِعُونَكَ عَلَىٰ أَن يُصَلِّبُوا نَارًا	عقيدة..
٥٧	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ	عقيدة..
٥٨	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا	أخلاق..
٥٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ	عقيدة..
٦٠	أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا	فى المنافقين..
٦١	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ	فى المنافقين..
٦٢	فَكَفَّ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ	فى المنافقين..
٦٣	أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ	فى المنافقين..

رقم الآية	نصها	موضوعها
٦٤	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ	في المنافقين..
٦٥	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ	في المنافقين (عقيدة).
٦٦	وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ	في المنافقين..
٦٧	وَإِذَا لَا تِنَّهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا	في المنافقين..
٦٨	وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا	في المنافقين..
٦٩	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ	عقيدة في سياق المنافقين..
٧٠	ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ	عقيدة في سياق المنافقين..
٧١	يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ	في الجهاد..
٧٢	وَأِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لِيُضِلَّنَّ	تخلف المنافقين عن الجهاد
٧٣	وَلَئِنْ أَصَبَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ	حرص المنافقين..
٧٤	فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ	جهاد..
٧٥	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	جهاد..
٧٦	الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	جهاد..
٧٧	الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ	في المنافقين..
٧٨	أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ	في المنافقين..
٧٩	مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ	عقيدة في سياق المنافقين..
٨٠	مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ	عقيدة..
٨١	وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَّرُوا مِنْ عِنْدِكَ	في المنافقين..
٨٢	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ	في المنافقين..
٨٣	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ	في المنافقين..
٨٤	فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	في الجهاد..
٨٥	مَنْ يَسْفَحْ شَفْعَةً حَسَنَةً	في سياق المنافقين..

رقم الآية	نصها	موضوعها
٨٦	وَإِذَا حُجِبْتُمْ بِحِجَبٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا	أخلاق..
٨٧	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ	عقيدة..
٨٨	فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ	في المنافقين..
٨٩	وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا	في المنافقين..
٩٠	إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ	في المنافقين..
٩١	سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوا بكم	في المنافقين..
٩٢	وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَا	في القتل الخطأ..
٩٣	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا	في القتل العمد..
٩٤	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ	في الجهاد..
٩٥	لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ	في الجهاد..
٩٦	دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَعْرِفَةٌ وَرَحْمَةٌ	في الجهاد..
٩٧	إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمُشْرِكِينَ	في الهجرة من دار الحرب
٩٨	إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ	في الهجرة من دار الحرب
٩٩	فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ	في الهجرة من دار الحرب
١٠٠	وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	في الهجرة من دار الحرب
١٠١	وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ	صلاة القصر..
١٠٢	وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ	في صلاة الخوف..
١٠٣	فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ	في ذكر الله..
١٠٤	وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ	في الجهاد..
١٠٥	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ	عقيدة في سياق المنافقين.
١٠٦	وَأَسْتَعْفِفُ اللَّهُ إِلَهًا كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا	عقيدة في سياق المنافقين.
١٠٧	وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَالُونَ أَنفُسَهُمْ	في سياق المنافقين..

رقم الآية	نصها	موضوعها
١٠٨	يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ	فى سياق المنافقين..
١٠٩	هَذَا سَمُهُ هَذَا أَجْرُهُ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	فى سياق المنافقين..
١١٠	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ	فى سياق المنافقين..
١١١	وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ	فى سياق المنافقين..
١١٢	وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا	فى سياق المنافقين..
١١٣	وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ	فى سياق المنافقين..
١١٤	لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ	أخلاق..
١١٥	وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ	فى العقيدة..
١١٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	عقيدة..
١١٧	إِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا	عقيدة..
١١٨	لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا يُخَلِّدَنَّ مِنْ عِبَادِكَ	عقيدة..
١١٩	وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَلَا مَرْتَنَتِهِمْ فَلْيَبْتَئِكُنَّ	عقيدة..
١٢٠	يَعِدُّهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا	عقيدة..
١٢١	أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَخْرُجُونَ	عقيدة..
١٢٢	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ	عقيدة..
١٢٣	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ	عقيدة..
١٢٤	وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ	عقيدة..
١٢٥	وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ	عقيدة..
١٢٦	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	عقيدة..
١٢٧	وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ	فى النساء..
١٢٨	وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا	نساء (خوف نشور الزوج)
١٢٩	وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ	فى النساء والعدل بينهن.

رقم الآية	نصها	موضوعها
١٣٠	وَإِنْ يَنْفَرًا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ	في النساء..
١٣١	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ	عقيدة..
١٣٢	وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا	عقيدة..
١٣٣	إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ	عقيدة..
١٣٤	مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا	عقيدة..
١٣٥	يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفًا قَوْمِينَ بِالْإِقْطِ	أخلاق..
١٣٦	يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	عقيدة..
١٣٧	إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا	في المنافقين..
١٣٨	بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	في المنافقين..
١٣٩	الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ	في المنافقين..
١٤٠	وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ	في سياق المنافقين..
١٤١	الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْنَةٌ	في المنافقين..
١٤٢	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ	في المنافقين..
١٤٣	مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ	في المنافقين..
١٤٤	يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ	في المنافقين..
١٤٥	إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	بيان جزاء المنافقين.
١٤٦	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ	استثناء من المنافقين.
١٤٧	مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ	في سياق المنافقين.
١٤٨	لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوٓءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ	أخلاق..
١٤٩	إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ	أخلاق..
١٥٠	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ	في أهل الكتاب..
١٥١	أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا	في أهل الكتاب..

رقم الآية	نصها	موضوعها
١٥٢	وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقْرِئُوا	عقيدة..
١٥٣	يَسْأَلُكَ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا	في اليهود..
١٥٤	وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ	في اليهود..
١٥٥	فِيمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ	في اليهود..
١٥٦	وَيُكْفِرْهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بَهْتِنَا عَظِيمًا	في اليهود..
١٥٧	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ	في اليهود..
١٥٨	بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا	في سياق اليهود..
١٥٩	وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ	في النصارى..
١٦٠	فَيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ	في اليهود..
١٦١	وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ	في اليهود..
١٦٢	لَنَكُونَ الرَّاكِبُونَ فِي الِغْلَامِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ	في مؤمنى اليهود..
١٦٣	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ	عقيدة..
١٦٤	وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ	عقيدة..
١٦٥	رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ	عقيدة..
١٦٦	لَنَكُونَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ	عقيدة..
١٦٧	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	في الكافرين..
١٦٨	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ	في الكافرين..
١٦٩	إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا	في الكافرين..
١٧٠	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ	عقيدة..
١٧١	يَتَأَهَلَّ الْكِتَابَ لَا تَقْلُوبُوا فِي دِينِكُمْ	في النصارى..
١٧٢	لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ	في النصارى..
١٧٣	فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ	عقيدة..

رقم الآية	نصها	موضوعها
١٧٤	يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ	عقيدة..
١٧٥	فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعَصَمُوا بِهِ	عقيدة..
١٧٦	يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ	مواريث..

العقيدة وتأسيس موضوعات السورة عليها:

أول موضوعات السورة العقيدة، وإذا كانت العقيدة في السور المكية للتأسيس فإنها في السور المدنية - وسورة النساء واحدة منها - للتذكير، بحيث تُعالج موضوعات هذه السورة من خلالها لتوجد رباطاً وثيقاً بين التشريعات والتنظيمات والعادات والمعاملات، ليتكون في النهاية أصل الدين وحد الإيمان.

وأى تنظيم أو تشريع يقوم بمعزل عن العقيدة، يفقده روحه ويحوّله إلى نظام تقوم عليه الدولة وتحرسه التنظيمات.

وحين ترتبط التنظيمات والتشريعات بالعقيدة، وتقوم على أساسها، تصبح العقيدة هي الحارس الأمين عليها، ويصبح الخروج عن هذه التنظيمات، لا يشكل خطراً على الوجود الإنساني فحسب، ولكن يهدد عقائد الناس ودياناتهم^(١).

ومن خلال الجدول الموضح لموضوعات سورة النساء نجد أن سبعة وأربعين آية - تقريباً - كلها في العقيدة، وكانت أول آية في السورة تدعو إلى تقوى الله الذي خلقنا من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، ثم كان العمران في الكون بأن بث منهما رجلاً كثيراً ونساء.

وبعد آيات المواريث يبين الله أن ذلك من حدوده؛ فمن أطاعه في التزام حكمه دخل الجنة؛ ومن عصاه دخل النار ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [سورة النساء - الآية ١٣] و ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ [سورة النساء - الآية ١٤]. ويفتح الله باب التوبة على مصراعيه للذين يعملون سوءاً بجهالة ثم يتوبون من قريب، فهو عليم بهم وبما تكنه صدورهم. لكنه لا يقبل توبة العاصين، الذين لا يتذكرون التوبة إلا عند حضور الموت ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾ [١٧]

(١) دراسات قرآنية - محمد قطب ٢٦٦.

[سورة النساء - الآية ١٧] و ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [سورة النساء - الآية ١٨]..

ومن رحمة الله بعباده أنه يكفر عنهم سيئاتهم ما اجتنبوا الكبائر ﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [سورة النساء - الآية ٣١].

وتعود السورة إلى الأمر بطاعة الله، وعدم الإشراك به، وطاعة الوالدين والأقربين ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء - الآية ٣٦] فتبين السورة أن الله عادل لا يظلم عنده أحد، ويضاعف الحسنات بفضله وكرمه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [سورة النساء - ٤٠] ، وأن الرسول شاهد على أمته كبقية الرسل على أممها ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء - ٤١].

وتدعو السورة- ضمن موضوع العقيدة- إلى طاعة الله وطاعة الرسول وأولى الأمر، وتبين أن الاحتكام في كل الأمور؛ يجب أن يكون لله وللرسول وذلك من علامات الإيمان المطلق بالله واليوم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٥٩].

ومن ذلك يفهم أن طاعة أولى الأمر يجب أن تكون قائمة على طاعة الله وطاعة الرسول، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن ثم فقد كرر الفعل (أطيعوا) لله وللرسول، ولم يكرر مع أولى الأمر.

وتبين السورة مكانة الطائعين؛ فهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الإنسان يستطيع أن يرقى بعمله إلى أعلى المراتب فضلاً من الله وكرماً.

وتبين السورة أن من علامات الإيمان الصحيح؛ الاحتكام إلى الرسول والتسليم له في كل أمر ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٦٥].

وفي موضعين منها تبين السورة أن الشرك جريمة لا تغتفر. وما دونه يدخل في رحمة الله وغفرانه؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ

فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٧١﴾ ﴿سورة النساء - الآية ١١٦﴾.

وتنعى السورة على أهل الكتاب - ضمن موضوع العقيدة - الغلو في دينهم، وبتلان دعوتهم في تأليه المسيح أو جعله ابن الله، والله واحد لا شريك له، وما المسيح إلا عبد من عباد الله اصطفاه لتبليغ رسالته... ولن يستنكف المسيح أن يحظى بشرف تلك العبودية ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴿سورة النساء - الآية ١٧١﴾. و﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمُ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ ﴿سورة النساء - الآية ١٧٢﴾.

وتبين السورة أن محمداً ﷺ أوحى إليه كبقية الأنبياء وليس بدعاً من الرسل، وأن رسل الله لا ينحصرون فيمن ورد ذكرهم في القرآن، ولكن هناك أنبياء ورسول لم يرد لهم ذكر في القرآن ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْتَبِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآدَمَ دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٧٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٧٤﴾﴾ ﴿سورة النساء - الآيات ١٦٣ - ١٦٤﴾.

ويكتمل حديث العقيدة في سورة النساء بذكر يوم القيامة، فتبين السورة أن الله عادل لا يظلم عنده أحد، وأن الرسول شهيد على أمته يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيؤتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ ﴿سورة النساء - الآيات ٤٠ - ٤١﴾.

روى البخارى عن عبدالله ابن مسعود قال: قال لى النبي ﷺ: اقرأ على. قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنى أجب أن أسمعه من غيرى. فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا» قال: أمسك. فإذا عيناه تذر فان^(١).

(١) صحيح البخارى ٦/٥٧.

اهتمام السورة بالمرأة:

ومن الموضوعات الرئيسية في السورة موضوع (النساء) والتي سميت السورة به تكريماً للمرأة، ورفعاً لشأنها.

وفي ثلاث وعشرين آية - كما هو موضح بالجدول - جرى ذكر النساء والمرأة ومعالجة أمورهن، وحقوق اليتيمات في حجر الأولياء، واهتمت السورة بحقهن في الكسب والزواج، ونهت الأوصياء أن يتعسفوا معهن.

تبدأ الآية الأولى بتكريم المرأة وتعظيم شأنها، وتبين أنها الأساس في وجود الإنسان. واهتمام السورة إلى هذا الحد بأمر النساء واليتامى، يقطع بأن هذه الفئات كانت مستذلة مستضعفة في مجتمع جائر ظالم، وأن أوضاعاً غير كريمة قد لحقت بهم. وأن السورة تعمل جاهدة على رسم الخط الصحيح والمنهج الواضح في معاملة تلك الفئات...

فلقد كان الأوصياء يخلطون أموالهم بأموال اليتامى، ويستبدلون الخبيث من أموالهم بالطيب من أموال اليتامى، ويقولون: اسم باسم، ورأس برأس. فنهاهم الله عن ذلك ويبيّن لهم خطورة فعلهم: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ٢﴾ [سورة النساء - الآية ٢].

ويتامى النساء أشد ضعفاً وأحوج إلى الرحمة والعطف، وهن أكثر إهانة في المجتمع الجاهلي؛ فالأوصياء يحتجزونهن لأنفسهم؛ لما لهن من مال أو جمال، ويفرض الوصي نفسه زوجاً على اليتيمة، رضيت أم كرهت، بل يتزوجها بلا مهر وينتفع بمالها وأحياناً لا يتزوجها لدمامتها، ويمنعها من الزواج لمالها. وكان الرجل منهم يتزوج الأربع والخمس والست والعشر ويقول: ما ينعنى كما يتزوج فلان؟ فإذا فنى ماله، مال إلى مال اليتيم الذي في حجره فأنفقه.

من أجل ذلك كله نادت السورة مجتمع المسلمين أن يقسطوا في اليتامى، وأن يحافظوا على أموالهم، وينمّوها لهم؛ فيكون رزق اليتامى من عائد المال، لامن رأس المال. قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَرِزْقُهُمْ فِيهَا وَكَسْوَهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٥﴾ وَأَبْلُوا الْيَتَامَىٰ حَقًّا إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ

أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ [سورة النساء - الآيات ٥ - ٦].

وبذلك تأمر الآية الأوصياء بأن يقوموا بإجراء اختبار بين الحين والحين على اليتامى، لمعرفة مدى قدرتهم على تحمل تبعاتهم حتى يردوا إليهم أموالهم حينما يأنسوا رشداً منهم.

وتذكر السورة أوصياء اليتامى بأن الإنسان كما يدين يدان، وأن إحسانه إلى اليتامى وبره بهم هو خير ما يتركه لأولاده من بعده؛ ليطمئن على حياتهم بعده؛ ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَسْقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة النساء - الآية ٩].

وتبين السورة - في مشهد جسى مخيف - عاقبة من يأكل مال اليتيم ظلماً بأنه لا يأكل إلا النار، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء - الآية ١٠].

والمرأة نوع مستضعف آخر في المجتمع الجاهلي؛ انتشلتها السورة من عسف هذا المجتمع وجوره؛ فلقد كان المجتمع الجاهلي يضع المرأة موضعاً غير كريم، فحرمها الميراث أو حبسها لما ينالها منه. ويرثها الرجل كالميتاع، فإذا مات الزوج، جاء وليه فألقى عليها ثوبه، فيُعرف أنها محجوزة له؛ إن شاء تزوجها من غير مهر واستقل بمالها، وإن شاء عضلها؛ فيدعها لا هي زوجة ولا هي مطلقة، حتى تفتدى منه نفسها وتفك أسرها. ويُطْفَف معها الكيل؛ بل إن من المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث.

ويسوغ للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد، وأن يتصل بالمرأة بصورة حيوانية هابطة؛ روى البخارى عن عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته فيصدقها ثم ينكحها. ونكاح آخر كان الرجل يقول لامراته - إذا طهرت من طمسها - أرسلنى إلى فلان فاستبضعى منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة فى نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا

حملت ووضعت ومرّ عليها ليالٍ بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، فتقول: قد عرفتم الذى كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان؛ تسمى من أحببت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل. والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع عنم جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جُمِعوا لها ودُعوا لها القَافَة^(١)، ثم أُلحقوا ولدها بالذى يرون فالناتِب به^(٢) ودُعَى ابنه لا يمتنع عن ذلك^(٣).

تلك هى الصورة المذرية، والحالة السيئة التى كانت عليها المرأة فى المجتمع الجاهلى. ومن ثم فإن السورة عملت جاهدة على رفع شأنها، وحفظ كرامتها؛ فدعت إلى تعدد الزوجات صوتاً لعفافها، ووقاية لها من العلاقات المهينة بالرجل بالمصادقة أو المخادنة، وقيدت التعدد بأربع، واشترطت العدل بينهم، ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاذْكُرُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّنْ وَتَلَّتْ وَرَبِّعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدَقُّ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٣].

والعدل الذى تعنيه السورة عدل فى القسمة وفى النفقة، أما العدل فى المشاعر والحب فلا يطالب به أحد لأنه خارج عن إرادته، وقد وضحت السورة فى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٢٩].

وفى إطار تكريم المرأة تأمر السورة الأزواج أن يعطوا نساءهم صداقهن كاملاً حال استبدال زوج مكان زوج، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَاتٍ زَوْجٍ وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ وَنَطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْبَتِنَا وَإِنَّمَا مِيثَاقُكُمْ ﴿٢٠﴾﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ٢٠ - ٢١].

(١) القافة: جمع؛ مفردها قائف؛ وهو الذى يتتبع الآثار ويعرفها، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه.

(٢) التاط به: التصق به.

(٣) صحيح البخارى ٣/ ١٩.

والسورة تقرر أن للمرأة حقاً في الميراث بل إنها لتجعل هذا الحق هو المكيال الذى يورث الذكر على أساسه، ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴿١١﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١١].

ونصفها المقرر فى الميراث ليس انتقاصاً لحقها ولا غيباً لها، بل هو عدل الله المطلق؛ فالرجل يتزوج المرأة وهو الذى يقوم بإعالتها، أما هى فإما أن تقوم بنفسها فقط - إن لم يكن لها زوج - وإما أن يقوم بها رجل قبل الزواج وبعده، ومن ثم يبدو العدل كما يبدو التناسق بين العُثم والعُرم فى هذا التوزيع الحكيم.

ويبدو كل كلام فى هذا التوزيع جهالة من ناحية، وسوء أدب مع الله من ناحية أخرى، وزعزعة للنظام الاجتماعى والأسرى لا تستقيم معه الحياة. فالمساواة بين الرجل والمرأة حقيقة ثابتة أرسى الإسلام دعائمها، وليس المال الذى لم يبذل فيه جهد مقياساً لهذه المساواة.

والسورة تقرر أن العمل والقيام بأعباء التكليف أساس ذلك كله، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبْنَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٣٢].

والمرأة داخل الأسرة موضع الاهتمام من السورة إذ أحاطتها بسياج منى من الاحترام والتقدير، ووثقت بينها وبين الزوج روابط قوية، وعلاقات راسخة من الحب والعطف؛ ولاحقت بوادى الجفاء بينهما بالعلاج السريع حفاظاً على هذه الروابط القوية؛ فإذا كره الرجل زوجته لسبب من الأسباب فعليه أن يصبر على ذلك، ربما جعل الله الخير الكثير فى هذا الصبر ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٩].

وإذا تعذرت الحياة بين الرجل وزوجه، فعليه أن يفارقها بالمعروف من غير إضرار بها، أو انتقاص لحقها، ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ٢٠ - ٢١].

ولفظ (قنطار) يبين مدى اهتمام الله سبحانه وتعالى بحق المرأة مهما غلا؛ وذلك صوتاً لها من غوائل الزمن وحفظاً لها أن تُفْتَنَ.

إنه ميثاق النكاح وهو ميثاق لا يستهان به، فهو بسم الله وعلى سنة رسول الله ﷺ. ونلاحظ من الآيتين الأخيرتين - هنا - أن السورة لا تستريح لتعطيل وظيفه الأسرة في المجتمع فتبدأ الآية العشرون بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ زَوْجٍ...﴾ فمكان الزوجة يجب ألا يكون خالياً بأى حال من الأحوال؛ فإذا حدث ما يجعل الزوج يفارق زوجته، فليلاً مكانها على الفور، ولذا استخدمت السورة لفظ (استبدال) حتى لا تتعطل وظيفة الأسرة لأى سبب من الأسباب.

والرجل قوام على المرأة داخل الأسرة لدواع تستوجبها طبيعته؛ فهو الذى ينفق على الأسرة ويسعى لتحقيق سعادتها، ولا بد للأسرة من قوامة، وبدونها يتفكك عمل الأسرة، والمرأة لا تصلح لتلك القوامة لظروف تكوينها، وقد أثبتت التجارب أن الأسر التى تقوم المرأة عليها، فاشلة محطمة، ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [سورة النساء - الآية ٣٤].

وأثناء مباشرة الرجل للقوامة قد تنتشر المرأة لما قد تراه فى نفسها من دواع لذلك، فقد تكون ذات مال أو على قدر من الجمال أو الجاه. وهنا ترسم السورة الخط الصحيح لمعالجة النشوز فتأمر الرجل بأن يبدأ بموعظتها بالحسنى، ولكنها قد تتماذى ولا تستجيب، فهوها غالب، وانفعالها جامح، واستعلاؤها لا تنفع معه الموعظة... فتأتى المرحلة التالية من مراحل تأديبها بهجرها فى المضجع فهو موقع التدلل، ومجال الاستعلاء بالجمال والكبرياء، فإذا هُزمت فى هذا المجال فقد استقامت الحياة، وإلا فإن على الرجل أن يُقدم إلى خطوة أخرى؛ وهى الضرب برفق فلا يمس الوجه، ولا يكسر العظم، فربما كان من النساء من لا تُجسّ قوة الرجل الذى تحب نفسها أن تجعله قيماً عليها وترضى به زوجاً إلا حين يقهرها عضلياً^(١).

ليست هذه طبيعة كل امرأة، ولكن هذا الصنف من النساء موجود، وهو الذى قد يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة، ﴿وَاللَّي نَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا بُعْثُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [سورة النساء - الآية ٣٤].
وحين لا تحقق الخطوات السابقة الغرض المرجو، فإن على الجماعة الإسلامية أن تختار حكّمين؛ من أهلها ومن أهله، فى محاولة منهم للتوفيق بين الزوجين، ﴿وَإِنْ

(١) فى ظلال القرآن. سيد قطب. ١٥٤ / ٢

خَفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ [سورة النساء - الآية ٣٥]. وانظر إلى قول الله - تعالى - ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ أى إنه لا بد أن تتوفر النية المخلصة لدى الحكيمين فى الإصلاح؛ حتى يحقق الله على أيديهما الصلح.

أما حين يكون النشوز من الزوج لكبر سن زوجته، أو لدمامة خَلَقَهَا مثلاً، فعلى الزوجة - والحالة هذه - أن تبادر بمعالجة ذلك فى زوجها، وتعمل جاهدة على إرضائه بأى حال من الأحوال؛ كأن تتنازل له عن بعض حقوقها الزوجية؛ لتُرضى خاطره، وتُلين قلبه، وعليها أن تتحسس مصدر غضبه؛ فإذا كان يحب أخرى، وهو اه إليها أكثر من غيرها، عليها أن تتنازل عن ليلتها لمن أحب، وإذا كان بسبب مال، تنازلت عن بعض نفقتها أو كسوتها لاستعطافه وكسب مودته؛ روى ابن جرير عن عائشة قالت: فى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ [سورة النساء - الآية ١٢٨] هذا فى المرأة تكون عند الرجل فلعله أن يستكبر منها ولا يكون لها ولد ويكون لها صحبة فتقول لا تطلقنى وأنت فى حل من شأنى^(١).

ولم تهمل السورة مكانة المرأة فى المجتمع المسلم واهتمامه بها، فإذا ربى المجتمع المرأة على الطهر والعفاف، كان مجتمعاً فاضلاً، وإن ترك المرأة وشأنها، كانت سبباً فى شقائه وبلائه. وما أصيبت مجتمعاتنا اليوم إلا بسبب المرأة التى تركت وشأنها، وسمح لها بالظهور على شاشات الفضائيات عارية مبتدلة، فأصابت شبابنا بالخنوع والضعف، وصرح لها بالمنظمات النسائية، التى تطالب بحقوق المرأة وتدعى - إفكاً وبهتاناً - أنها مهضومة الحقوق مسلوطة الإرادة، وترى أن ترك الحبل على الغارب لها دون قيد من دين أو أعراف هو حق أصيل لها مقلدة - بذلك - المرأة الأوربية بكل ما وصلت إليه من حقوق مزعومة وفتن مهلكة. ولن تنجو المجتمعات المسلمة إلا إذا اعتزت المرأة بدينها، وتمسكت بكتاب ربها؛ منهجا وسلوكا لها فى حياتها.

ومن ثم فإن السورة تأمر المجتمع المسلم بعزل المرأة التى ترتكب الفاحشة لعدم انتشار هذا الداء واستشرائه فى أوصاله ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّهَا الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ

(١) تفسير الطبرى ٩ / ٢٧٠

أَزْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ [سورة النساء - الآية ١٥]. وكان ذلك قبل نزول حد الزنا في سورة النور.

اهتمام السورة بالمجتمع المسلم:

وفى إطار علاج السورة لأوضاع المجتمع فإنها نهت عن أكل الأموال بالباطل عن طريق الرشوة والغصب والربا، وأشبه ذلك إلا ما كان عن طريق التجارة، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٢٩].

فالتجارة وسيط نافع بين الصناعة والمستهلك، وهى خدمة للطرفين، وانتفاع عن طريق هذه الخدمة، انتفاع يعتمد على المهارة والجهد، ويتعرض للربح والخسارة. أما الربا الذى يظن بعض الناس أنه لون من ألوان التجارة فإنه إثم ثقيل للتجارة وإثقال للمستهلك.

والأخلاق فى كل مجتمع قضية خطيرة، تشغل بال المفكرين والمصلحين والقادة، ومقاييسها متفاوتة بين المجتمعات فى الوقت الراهن، وأما المجتمع المسلم فإن أخلاقه مستمدة من القرآن، وقد تناولت السورة هذا الأمر بما يكفل حياة طيبة مستقرة للمجتمع المسلم.

وفى سبع آيات فى السورة تحددت المعالم البارزة للأخلاق الفاضلة. ورسمت السورة الطريق الصحيح للمجتمع المسلم بتلك الأخلاق.

وفى تصورى أن السورة بدأت موضوع الأخلاق بهذه الآية الكريمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٥٨].

فالأمانة كلمة جامعة لكل معانى الخير والإصلاح فى المجتمع، بدءاً بالأمانة الكبرى؛ وهى الإيمان بالله تعالى، وإقامة منهجه فى الأرض، إلى ما يترتب على ذلك من الأمانات الأخرى لحفظ الودائع، والنصح للمسلمين، وأداء العمل على أكمل وجه، إلى غير ذلك من أنواع الأمانة.

والأمانة التى يأمرنا بها الإسلام أمانة جامعة شاملة، ومع كل الناس، برّهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، وقد أشارت السورة إلى ذلك (بين الناس) إذ الحكم بالعدل أمانة أيضاً. وواجب المسلم أن يرفعى حق أخيه، ويسعى لمصلحته، ولا ينتظر على ذلك أجراً منه

أو شكرًا، وأما الذى يسعى إلى الشر، وإلحاق الضرر بالآخرين، فعليه من الوزر بمثل ما قدم، ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٥].

وأفراد المجتمع المسلم يتميزون عن غيرهم فى معاملاتهم بعضهم مع بعض، وفى لقاء كل منهم بأخيه، يجب على كل مسلم أن يحيى أخاه إذا قابله بتحية الإسلام؛ لتقوية روابط المحبة والألفة بينهم، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحْوِهِ فِحْيُوا بِأَحْسَنِ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٦].

وكل نجوى بينهم لا خير فيها؛ إن لم تدع إلى المعروف أو إصلاح بين أفراد المجتمع المسلم، ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١١٤].

والسورة تربي الجماعة الإسلامية تربية فاضلة؛ تؤهلها لقيادة البشرية، فيجب عليها - والحالة هذه - أن تقيم دعائم العدل، غير متأثرة بعاطفة أيا كانت، ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّهُ أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٣٥]. إلى غير ذلك مما تناولته السورة من موضوع الأخلاق.

تأمين سلامة المجتمع المسلم فى سورة النساء:

وأعداء المجتمع المسلم شر مستطير، وخطر داهم يهدد الجماعة الإسلامية، وهم فى الداخل (المنافقون) وفى الخارج (أهل الكتاب والمشركون). وقد عملت السورة جاهدة على تأمين سلامة الجبهة الداخلية لجماعة المسلمين؛ بكشف خداع المنافقين ومكرهم؛ وحذرت المسلمين ممن يتربصون بهم فى الخارج. وحديث السورة عن هؤلاء الأعداء امتداد لحديث شقيقتيها (البقرة وآل عمران) فى هذا المجال. وباستقصاء الآيات التى تحدثت عن المنافقين فى السورة وجدت أنها تقرب من سبع وثلاثين آية، والآيات التى تناولت أعداء المجتمع المسلم فى الخارج زادت على خمس

وعشرين آية، وقد بينت ذلك في الجدول المصدر به الفصل.

المنافقون وكشف خباياهم:

فالمنافقون أشد خطراً من أى عدو آخر؛ فهم يُظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، والله عالم بطبيعتهم، خبير بأحوالهم؛ فهم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إلى الرسول، ومع ذلك فإنهم يتحاكمون إلى الطاغوت، فإذا دُعوا إلى ما أنزل الله، صدوا عن النبي وعارضوه، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٦٠].

والمنافقون - كما قلت - يظهرون خلاف ما يبطنون، وتلك أخس صفاتهم، فإذا كانوا مع الرسول، أظهروا له النوايا الطيبة، وأعلنوا له الطاعة والولاء، وإذا خرجوا من عنده، فإنهم يبيتون العداوة والبغضاء، ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨١].

والمنافقون لا يتدبرون القرآن ولو فعلوا لتجلت لهم الحقيقة واضحة جليلة؛ وهى أن القرآن كلام الله، ومن عنده، إذ لو كان من عند غيره، لما وقع بهذا الإتقان المحكم، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكْفُرُوا وَلَوْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٢].

وهم يشيعون الأكاذيب عن المؤمنين، ويرددون أخباراً مفتراة عن هزيمتهم، ولو ترووا قليلاً وردوا الأمر إلى الرسول، وإلى كبار الصحابة لوقفوا على حقيقة الأمر، ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَالَّذِي أُوتِيَ الْآيَاتُ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٨٣].

ورغبة المنافقين مُلِحَةٌ فى تكفير المؤمنين ككفرهم، حتى يتساووا بهم. والسورة تبين ذلك للمؤمنين، وتحذرهم ألا يتخذوا من الكافرين أولياء، فمن المحال أن يخلص المنافق للمؤمن مهما كانت الظروف؛ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكَّهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَلَمْ تَرَوْا أَن

تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُو لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهْجُرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَضُدُّوهُمْ وَأَقْبِلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ [سورة النساء - الآيات ٨٨ - ٨٩].

وكيف يتخذ المؤمن من المنافق الكافر ولياً، والمنافق لا يثق بالمؤمن ولا يتخذه كذلك، بل إنه ليفضل أن يتخذ وليه من الكافرين أمثالهم. ومن ثم فإن السورة تأمر المؤمن ألا يجالس المنافق؛ لأنه يستهزئ بكلام الله، ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ ﴿١١٣﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْكَرُوا إِذَا مَتَّاهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١١٠﴾ [سورة النساء - الآيات ١٣٩ - ١٤٠].

والمنافقون يتمنون زوال الجماعة الإسلامية وفناء دولتهم، فلا يشاركون المسلمين حروبهم، ويدعون المشاركة عندما يكتب الله النصر للمسلمين، أما إذا حدث غير ذلك، فالمنافقون يظهرون النصح والإرشاد لأعدائهم، ﴿الَّذِينَ يَرَبِّضُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ بِحِكْمٍ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١١﴾ [سورة النساء - الآية ١٤١].

والمنافقون يظنون - بأعمالهم الخسيسة هذه - أنهم يخدعون المؤمنين ويخدعون ربهم؛ إذ يتخلفون من الصلاة التي لا يراهم الناس فيها؛ كصلاة العشاء وصلاة الصبح، والله لا يخادع، وهو عليم بما يفعلون، خبير بما يبطنون، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾ [سورة النساء - الآية ١٤٢].

روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «أثقل الصلاة على المنافقين الصبح والعشاء».

والمنافقون مذبذبون بين الإيمان والكفر؛ ومن ثم فإنهم يستحقون أشد ألوان العقاب وأنكى صنوف الجحيم وهذا ما توعدتهم به السورة، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [سورة النساء - الآية ١٣٨].

﴿ إِنَّ التُّفَّيفِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء - الآية ١٤٥].

اليهود وخطرهم على المجتمع المسلم:

واليهود أعداء المجتمع المسلم في الخارج، وهم يعيشون مع المسلمين، وكذلك النصارى، والمشركون في مكة يناصبون المسلمين العداوة.

وقد لاحظت في السورة أن الآيات التي تحدثت عن المنافقين وأهل الكتاب جاءت في مجموعات منها:

الآيات: ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ تحدثت عن شدة بخل اليهود، باعتبار ما عندهم من علم بنبوة محمد وصفته، ومع ذلك فإنهم بخلوا بالاعتراف به، وبنبوته، وكتبوا علمهم بذلك.

كما بخلوا بإنفاق المال في وجوهه المشروعة، وحتى إذا أنفقوا مالهم فللمراءة والسمة،

وذلك من أخس صفاتهم؛ ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا

ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [سورة النساء - الآية

٣٧] وقد بينت السورة أن الله قد أنزل التوراة على موسى بقصد هداية اليهود، ولكنهم

تركوا ذلك واشتروا الضلالة بالهدى؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُشْرُونَ

الضَّلَالََةَ ﴾ [سورة النساء - الآية ٤٤]. ولا يكتفون بذلك بل إنهم يريدون إضلال

المسلمين كما ضلوا، ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [سورة النساء - الآية ٤٤].

واليهود - عليهم اللعائن إلى يوم القيامة - يحرفون الكلم عن قصده، للزيف والتضليل،

ويستهزئون بالنبي ﷺ، ويدعون عليه؛ لحقدهم الشديد، «واسمع غير مسمع» أى لا سمعت

ويحدثونه بكلمات تحتمل وجهين: ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة

النساء - الآية ٤٦].

والسورة تُذَكِّرُ اليهود - فى مشهد مخيف - بما حدث لأسلافهم من الطمس والمسخ،

وجعلهم قردة وخنزير؛ ليثوبوا إلى رشدهم، ويؤمنوا بالرسالة الإسلامية؛ وإلا حل بهم

ما حل بأسلافهم من قبل، ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَأَمْثُلًا بِمَا تَزَلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ

مِن قَبْلِ أَنْ تَطْمَسَ وُجُوهًا فَرَدَّهَا عَلَيَّ أَدْبَارَهَا أَوْ نَلَعْنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَحْسَبَ السَّبَبَ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿١٧﴾ ﴿سورة النساء - الآية ٤٧﴾.

وطمس الوجوه؛ إزالة معالمها المميزة لآدميتها وردها على أدبارها، ودفعها لأن تمشى القهقرى. وقد يكون المقصود هو التهديد بمعناه العادى، والذى يفقدهم آدميتهم، ويردهم يمشون على أدبارهم.

واليهود مكابرون، لا يعترفون بخطئهم، ولا يكفون عن أفعالهم الخسيصة. وهم بين الحين والحين يثنون على أنفسهم، ويُمجِّدون قدراتهم، فيظنون - كذباً - أنهم خير خلق الله، وإلى اليوم يسمون أنفسهم شعب الله المختار، وقالوا - كما حكى القرآن عنهم - ﴿عَنْ أَتَّبَعُوا اللَّهَ وَأَحْبَبُوهُ﴾ [سورة المائدة - الآية ١٨] وقالوا أيضاً: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ [سورة البقرة - الآية ١١١] ولكن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى صدورهم، وهو الذى يزكى من يشاء، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزُكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يَزُكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَانًا ﴿٤٩﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ٤٩ - ٥٠].

وتنعى السورة على اليهود إيمانهم بالجبت والطاغوت، وهم أهل كتاب سماوى؛ فيه خيرهم وفلاحهم وهداهم. وهم يزيفون الحقائق، وينسجون الأكاذيب لمشركى مكة؛ إذ يوهمونهم بأنهم أهدى من محمد ودينهم أحسن من دينه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ نَجْدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ٥١ - ٥٢].

وثمة صفة ذميمة تتملك اليهود، وتسيطر على تصرفاتهم ومشاعرهم، وهى الحسد؛ ولقد حسدوا رسول الله ﷺ على النبوة والرسالة والحكمة، وكانوا يتمنون أن يكون لهم ذلك، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النساء - الآية ٥٤].

وبذلك تستنكر السورة على اليهود هذا الحسد، وتلك الضغائن؛ وهم غارقون فى نعم الله والآله منذ إبراهيم وآله - عليهم السلام - الذين آتاهم الله الملك والنبوة. ولم يحتفظ

اليهود بهذه النعمة الكبرى فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومن يؤت هذا الفضل لا يليق منه الجحود والكفر.

واليهود - لعنهم الله - يفرقون بين أنبياء الله ورسله ويفاضلون بينهم على أسس توافق هواهم؛ فيؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فلم يؤمنوا بعمى - عليه السلام - كما لم يؤمن النصرى بمحمد ﷺ. والإيمان الحقيقي يقتضى التصديق بكل ما جاء به الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم، ومن رد الإيمان بواحد منهم فليس بمؤمن، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ١٥٠ - ١٥٢].

وكان هذه المجموعة من الآيات تعالج قضية الإيمان عند أهل الكتاب، بعد أن عالجت مجموعتان من الآيات فى السورة بعض صفات اليهود؛ كالبخل والحسد والتضليل.. الخ. وتمضى السورة فى وصف أحوال اليهود؛ فتبين أنهم طلبوا من موسى - قبل ذلك - أن يريهم الله جهرة، وعبدوا العجل من دون الله. والآيات توضح للرسول أحوالهم كيلا يتعجب من الأسئلة التى يسألونها له تعنتاً وكفراً: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَرْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الضُّعْفَةُ يُظْلِمُهُمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ أَلْبِنْتٌ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهَا وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثْقَلًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْبِرِّيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ١٥٣ - ١٥٥].

واليهود ارتكبوا أفظع جرم وأشنع خطيئة حين رموا السيدة مريم البتول فى طهرها وعقافها وادعوا - كذباً - أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم، وكانهم يفاخرون بذلك. وعيسى لم يقتل ولم يستطيعوا الوصول إليه، لأن الله حفظه من مكرمهم، بل رفعه الله إلى

السماء مطهراً وكان حسد اليهود له لأنه - عليه السلام - كان يُبرئ الأكمة^(١) والأبرص ويحي الموتى بإذن الله ، وكان عليه السلام لا يساكنهم فى بلد؛ فهدسوا له لدى ملك دمشق - فى ذلك الوقت - وكان من عبدة الكواكب وقالوا له : إن فى بيت المقدس رجل يضل الناس ويفسد على الملك رعاياه، فكتب الملك إلى نائبه فى بيت المقدس بقتل هذا الرجل وصلبه للتخلص منه.

وذهب نائب الملك ومعه طائفة من اليهود لتنفيذ الحكم فى عيسى عليه السلام، فلما عرف ما سيحل به قال لأصحابه : أياكم يُلقى عليه شبهة وهو رفيقى فى الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم. فقال : أنت هو وألقى الله عليه شبه عيسى حتى كأنه هو، وفتحت (رؤونة)^(٢) فى سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سنة من النوم فرُفع إلى السماء وهو كذلك. وظن النفر الذين أتوا لقتله، أن الشاب الذى ألقى عليه شبه عيسى هو عيسى عليه السلام فأخذوه فى الليل، وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، وأظهر اليهود أنهم سعوا فى صلبه.

وسلم لهم طائفة من النصارى بذلك؛ لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كانوا فى البيت مع عيسى. فإنهم شاهدوا رفعه، وظن باقى النصارى كما ظن اليهود أن المصلوب هو عيسى، والله يقول: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُمْ وَإِنَّ الْإِنسَانَ لَخَتَلَفُوهَا فِيهِ لَٰفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [سورة النساء - الآيات ١٥٧ - ١٥٨].

ولكن هؤلاء الطغاة الذين آمنوا بصلبه وقتله، واتخذوه إلهاً من دون الله، سوف تتكشف لهم الحقيقة جلية واضحة قبل موتهم، ويعرفون أن عيسى - عليه السلام - نبي الله ورسوله، وليس إلهاً كما زعموا، وسيشهد عليهم يوم القيامة بما اقترفوا من جرم، ﴿ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَبِئْسَ الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ سَهِيلاً ﴾ [سورة النساء - الآية ١٥٩].

ولما كان من أمر اليهود ما كان فإن الله - تعالى - عاقبهم بأن حرم عليهم الطبييات التى كانوا يتمتعون بها وقد كانت حلاً لهم، ﴿ فَيُظَلِّمُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ كَافِرٌ أَكْبَرُ أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَصْلَبَ عَلَيْهِمُ عَذَابُ اللَّهِ وَكُلُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ ﴾ [سورة البقرة - الآية ٢٢٤].

(١) الأكمة : الذى ولد أعمى.

(٢) الرؤونة : الفتحة فى سقف البيت

لَهُمْ وَيَصِدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ [سورة النساء - الآيات ١٦٠ - ١٦١].

النصارى فى سورة النساء:

وتوجّهه السورة النداء الحاسم إلى النصارى ألا يفتروا على الله الكذب، وأن يفردوه تعالى بالوحدانية، وأن يؤمنوا بأن عيسى - عليه السلام - عبد الله ورسوله، وكلمته التى ألقاها إلى مريم، وروح منه، و لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله كما قال جل شأنه: ﴿لَنْ يَسْتَنكفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكفَ عَنْ عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء - الآية ١٧٢].

وتحسم السورة قضية العقيدة فتقرر أن الله واحد لا شريك له، ومن يجعله ثلاثة أجزاء فى شىء واحد فهو كافر ومشرك، ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ لَنْ يَسْتَنكفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنكفَ عَنْ عِبَادَتِيهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيَّ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء - الآيات ١٧١ - ١٧٢].

